الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأهل السنة في الهند من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى حتى القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى

obeikan.com

obeikan.com

أولاً: الحياة الاجتماعية

العناصر العرقية الإسلامية فى الهند :

يتكون غالبية المسلمين في الهند من سكان البلاد الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع أو ورثوه عن آبائهم، ومنهم من وفد من البلاد الإسلامية إلى الهند[1]، **ومن أهم العناصر العرقية المسلمة التى أتت إلى الهند ما يلى:**

أولاً العنصر العربى:

دخل العرب السند والهند عن طريقين طريق الفتح وطريق التجارة، والأول بدأ بفتح محمد بن القاسم للسند، وهجرة بعض القبائل العربية إلي السند واستقرارهم بها، وقد قلت الهجرات العربية واسعة المدى بعد فترة محمد بن القاسم، وبدأ التأثير العربى يقل تدريجياً باندماج العرب مع أهل البلاد، وتراخى قبضة بغداد السياسية على السند مما أدى إلى ضعف الروابط الثقافية بينها وبين السند، وتذبذب وضع المسلمين في السند لضعف قوتهم وقد أنقذهم من الفناء ضعف الممالك الهندية المحيطة بهم وتفرق كلمتهم[2].

وقد استقر العرب في البداية في مناطق الحدود في إقليم مكران وبلوخستان وبعض بلدان السند، فقد اقطعوا فيها القطائع فاستقروا بها وعمروها، وأدوا عنها العشر في عهد عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتم تمصير الإقليم في عهد عثمان بن عفان، وعندما فتح محمد بن القاسم السند كان يقطع للعرب بالمدن المفتوحة[3]، فعندما فتح الديبل أنزل بها أربعة آلاف من العرب وبنى بها مسجداً[4]، وقد تركز الوجود العربى في السند فترة الحكم العربى لها في المدن التى بناها الولاة في السند، والتى من أهمهم المنصورة والمحفوظة والبيضاء، وقد ذكر

---

(1) جمال الدين الرمادى: الإسلام فى المشارق والمغارب، مطبعة الشعب، 1960، ص45.

(2) عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان، ص 176،182،186.

(3) رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام في فارس وأفغانستان والسند وباكستان وآسيا الوسطى والصغرى وبين المغول، بحث فى الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى، مج1 انتشار الإسلام، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/1992م، ص157.

(4) البلاذرى: فتوح البلدان، ص453.

المقدسى أن غالبية سكان المنصورة والملتان من العرب، وإن وجد العرب في مدن أخرى بنسبة أقل، كما في الديبل حيث كان أكثر سكانها من الهندوس كما يذكر المقدسى[1].

وقد هاجر إلى السند العرب القحطانية والعدنانية في أعقاب الفتح مباشرة، ولكن القحطانيين كانوا أكثر عدداً وأوسع انتشاراً، لأن غالبية المهاجرين كانوا من عمان وحضرموت لقربهم واتصالهم بحرياً بالسند[2].

والعامل الثانى لمجيء العرب للهند هو التجارة، فقد استقرت جاليات التجار من العرب بسواحل الهند الغربية والجنوبية من قبل ظهور الإسلام، ومن بعده تحولت إلى جاليات إسلامية مع الاحتفاظ بالعلاقات التجارية والودية مع الأهالى، مما أدى إلى كثرة الاختلاط والتزاوج، ويذكر تاراتشند: "اتخذ المسلمون ثلاثة مقرات على ساحل الهند الجنوبى وفي سيلان"، ويقول رولندسن "إن المسلمين العرب استقروا بساحل مليبار في أواخر القرن السابع الميلادى، ويؤيد هذا القول فرانسيس بالروايات المتوارثة، وكذلك يدعمه سنورك فيما كتبه عن موبلا" مما هو معلوم أن التجار الفرس والعرب استقروا في القرن السابع وبعده بأعداد كبير على السواحل الغربية من الهند متفرقين بأماكن مختلفة، وتزوجوا بالنساء المحليات، وكانت جاليتهم في مليبار خاصة كبيرة وهامة[3]"، وبدأوا يحولون السكان المحليين للإسلام، ومما ساعد على ترحيب أهل كاليكوت في ساحل المليبار بالعرب الأساطير حول تحول ملك كاليكوت " السامرى"، والتى كانت معروفة عند العرب والساموريين[4]، ورغم أنه لم ترد معلومات تؤكد هذه الأسطورة، إلا أنه من المسلم به أن حكام كاليكوت رحبوا بالعرب المسلمين، ولم يقفوا في وجه دعوتهم الدينية، ومن القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر الميلاديين بدأ العرب في الاستقرار والزيادة في التعداد في

---

(1) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ص379:381.

(2) رجب عبد الحليم: المرجع نفسه، مج1، ص156.

(3) جميل أحمد: سير حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالى الهندى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة قدمت إلى جامعة كراتشى لنيل درجة الدكتوراه من القسم العربى في يوليو 1971، إشراف السيد محمد يوسف، ص3،4.

(4) الساموريون أو الزاموريون هم حكام قاليقوط.

الساحل الشرقى والغربى[1]، وقد شارك العرب الهنود في سكنى موانئ الساحل الغربى، وبنوا فيها المنازل الجميلة ذات الأبواب الضخمة ومنارات لهداية السفن، وكل منزل يبعد عن الآخر نصف ميل، مما جعلها أشبه بمحطات استراحة صغيرة، كان يؤمها التجار العرب للتزود بالزاد لمواصلة رحلتهم، مما سهل عليهم المرور بهذا الساحل الطويل، كما أدى لزيادة نشاطهم التجارى بصورة كبيرة[2]، و تنافسوا في بناء المساجد، التى أصبحت مراكز لنشر الإسلام في المنطقة، وغالبية العرب القاطنين بساحل المليبار من الشافعية، ولذا انتشر الإسلام في هذه المنطقة على المذهب الشافعى[3].

وذلك بالإضافة إلى استقرار بعض الأسر العربية القرشية التى خرجت من المدينة المنورة فارة من اضطهاد الحجاج في ساحل مليبار، وقد سكن بعض أفرادها مدراس بجنوب الهند، وعرفوا بالنوائط وتوطن بعضهم الآخر كوكن على ساحل الهند أيضاً، وجميعهم شافعية[4]، ومن النوائط من استوطن الدكن والكَجرات[5]، وقد تمكنت بعض هذه الجماعات من أن يكون لهم حكم ذاتى[6]، واستمر التأثير العربى في ساحل مليبار عنه في شمال شبة القارة الهندية لدوام التأثير العربى به ودوام رافده من التجار، أما في السند فقد تقلص بالفتح الغزنوى لها لسيادة العنصر الفارسى والتركى[7].

ولازدهار الطريق التجارى البحرى مع الهند، استوطن التجار العرب بسواحل السند ومكران وكرمان التى امتلأت بعرب الأزد خاصة الذين كانوا رؤساء التجار في أبلة وعمان،

---

(1) S.A.A.Rizvi;Muslim India,The World of Islam, Edited by Bernard Lewis, p.301.

(2) رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مسقط، عمان، مكتبة العلوم، 1415هـ/1989م، ص69، 70.

(3) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص106،118.

(4) عبد الحى الحسنى: نزهة الخواطر، ج8، ص24،25.

(5) سمير عبد الحميد: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، ص26،27.

(6) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص104،105.

(7) أحمد إدريس: الأدب العربى في شبة القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين،مصر، 1998، ص11.

وكان لديهم العديد من الأقارب المقيمين في السند، ولذلك يسمى. من وقت الإسكندر حتى الآن. باسم العرب أو عربيو أو عربيتو[1]، مما يدل على عمق الصلات الاجتماعية بين العرب والهند التى ترجع إلى ما قبل الإسلام.

واستقر العنصر العربى في السند قبل الفتح العربى لها، فمثلا محمد العلافى الخارجى الذى هرب إلى السند بعد قتله حاكم مكران، وتحالف مع داهر حاكم السند. وكان ذلك أحد أسباب فتح السند وحينما كان محمد العلافى مع داهر عمل على نشر الإسلام في الأقاليم المجاورة، وبعد الفتح الإسلامى وعفو محمد القاسم عنه عينه كسفير للمسلمين فى كشمير، وعمل على نشر الإسلام وبناء المساجد هناك، وهذا أول ذكر عن دخول الإسلام كشمير أثناء الربع الأول من القرن الثامن الميلادى، وبعد عزل محمد بن القاسم واصل محمد العلافى جهوده فى نشر الإسلام فى كشمير حتى وفاته[2].

وأما عن التأثيرات الاجتماعية العربية فأكثرها ملحوظ في السند التى تسمى "حجاز شبة القارة الهندوباكستانية"، فهناك عدد كبير من الأسر القيادية في السند تنتمى لأصل عربى، ومنهم من أعد جداول أنسابهم العربية للافتخار بالأصل العربى[3]. ومن أهم من هاجر من العرب إلى السند، القاضى إسماعيل بن على بن محمد بن موسى بن يعقوب الثقفى السندى، وهو عربى من قبيلة ثقيف، تولى القضاء والخطابة بمدينة الور بالسند التى توارثها من آبائه[4].

وقد هاجر إلى الهند عرب من ذرية الصحابة، فهاجر إليها نفر من ذرية عمر بن الخطاب، وممن برز منهم بهاء الدين بن خلق الله بن المبارك بن أحمد بن أبى الخير بن نصر الله بن محمود

---

(1) Eliot& Dowson; The History of India as told by its own Historians, The Muhammadan period, London, 1867,p.468.

(2) Fathnamah-I Sind; p.118,119.

(3) عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان، ص186.

Stanley Lane Poole, Mediaeval India under Mohammed Rule,p.13.

(4) Fathnama-I Sind,p.137.

بن محمد بن الشيخ حميد العمرى الناكَورى، وهو من مشاهير مشايخ الطريقة الجشتية، ت911هـ[1]، وإبراهيم بن احمد بن الحسن بن الحسين العمرى الهندى البهارى المشهور بالسلطان، كان من المشايخ الفردسية السهروردية، ت914هـ[2]، وأمين بن غياث الدين محمود العمرى الحنفى الجونبورى، ولد عام1072هـ من العلماء البارعين في الفقه والأصول والعربية وله عدة مصنفات[3].

ومن ذرية أبى بكر الصديق الأمير أحسن الله بن عزيز الله الصديقى الهروى، من ذرية الشيخ زين الدين الهروى، وقد هاجر أحد أجداده إلى كشمير ثم انتقل أحدهم إلى دهلى، التى بها ولد ونشأ، وعمل طبيباً للسلطان أكبر، توفى 1290هـ[4]، ومن ذرية الزبير بن العوام عز الدين الزبيرى أحد الفقهاء الصالحين، لقيه ابن بطوطة بكاليور عند الملك عز الدين البنتانى "أعظم ملك[5]"، ومن ذرية جعفر بن أبى طالب أحمد بن وحيد الحق ابن وجيه الحق الهاشمى الجعفرى البهلوارى، ولد1276هـ ، انتهت إليه رئاسة العلم في البلاد الشرقية، وخاصة في الرياضة[6].

وكذلك من أهم المؤثرات الاجتماعية للعرب في السند، أن النموذج الاجتماعى فى السند كان نموذجاً قبلياً عربياً لدرجة كبيرة، وظل كذلك حتى زمن قريب، ومكانة شيخ القبيلة بالسند مأخوذة من النظام العربى، ولقبه "واديرا"، وهو ترجمة لكلمة عربية مماثلة، وكذلك الأخلاق العربية مثل كرم الضيافة وغيرها مشهورة في السند[7].

واختلط العرب بالسكان المحليين وتزوجوا منهم، ولاسيما من الطبقة الدنيا من المنبوذين والزط والسيابجة وغيرهم، على أن المولدين من هذا التزاوج لم يكن لهم دور كبير

---

(1) فاطمة محجوب: الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، ج7، ص550.

(2) فاطمة محجوب: المرجع نفسه، ج2، ص112.

(3) فاطمة محجوب: المرجع نفسه ، ج6، ص87.

(4) فاطمة محجوب: المرجع نفسه ، ج2، ص584.

(5) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص91.

(6) فاطمة محجوب: الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، ج2، ص693.

(7) عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان، ص186.

في السند مثل غيرهم في الأقاليم الإسلامية الأخرى، فقد كانت العصبية العربية في السند قوية نظراً لكثرة القبائل العربية الوافدة إليها، وظلت كذلك حتى الفتح الغزنوى للبلاد فذاب العرب بالتدريج مع السكان المحليين، وقد اشتد ظهور جماعات المولدين التى كانت من أهم عوامل الاندماج بين التقاليد الهندية والإسلامية[1]، ومما يدل على كثرة العرب في السند في هذه الفترة ظهور أسر عربية أقامت دولاً مستقلة في السند، استمرت فترة أكبر من مثيلاتها في الأمصار الإسلامية الأخرى، وساعد ذلك على انتشار الإسلام بالسند[2]، وكان من يولد من المسلمين بالهند يقال له "بيسر[3]"، ويؤكد ذلك المسعودى عندما زار صيمور بقوله "وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغدادين وغيرهم من سائر الأمصار ممن تأهل وقطن في تلك البلاد ومنهم خلق من وجوه التجار... [4]"، فقد انتشر البياسرة بخاصة في المنطقة من سواحل السند إلى صيمور وما جاورها إلى بمباى[5]، ولعب المولدون دوراً في الحياة الاجتماعية، وإن كانوا قد احتفظوا ببقية من التقاليد الهندية القديمة، فظل كثيرون منهم يأنفون من أكل لحوم البقر والزواج من الأيامى[6].

ثانياً الفرس:

كان الفرس من أقدم الشعوب التى احتكت بالهند، وترجع هذه الصلة إلى ما قبل الحضارة الآرية الهندية، لأن الآريين، الهنود والإيرانيين القدماء – ينحدرون من عرق بشرى واحد، بالإضافة إلى التقارب في الديانة واللغة بينهما، فالفيديا تلتقى مع الزرادشتية في أشياء كثيرة، واللغات السنسكريتية والفيدية والفهلوية القديمة تتشابه تشابهاً كبيراً[7]، فقد أثرت

(1) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، 220، 234.

(2) رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام، ج1، ص157،158.

(3) أبى على المحسن بن علي التنوخى ت384هـ: جامع التواريخ المسمى " نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"، ج8، دمشق، 1348هـ/1930م، ص124.

(4) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص157. رمزية عبد الوهاب الخيرو: تجارة الخليج العربى وآثارها في الحياة الاقتصادية في منطقة الخليج العربى والعراق منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجرى، ص151،152.

(5) أطهر المباركبورى: من النارجيل إلى النخيل، ثقافة الهند، يناير 1965، مج16، ع1،ص99.

(6) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص236.

(7) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند،ط2، بيروت، دار العلم للملايين،1961، ص116.

فارس على الهند على مر العصور تأثيراً شديداً عميقاً أكثر من تأثير الهند في الأقاليم الإيرانية، فقد حملت الغزوات الدورية من البدو الأسيويين الذين سبق لهم غزو فارس والانضواء تحت حضارتها أمواجاً عدة من النفوذ الفارسى، كما تسللت الثقافة الهندية عبر أفغانستان إلى فارس حيث اختلطت بالتقاليد الفارسية، واستوعبتها الحضارة الفارسية[1]، وهاجر إلى الهند طائفة من الإيرانيين "البارثيين" أتباع زرادشت إلى الهند هرباً من الفتح الإسلامى، وسمح لهم بالإقامة على الشاطئ الغربى للهند بين بومبى وسورت، وعاشوا بهدوء وعملوا بالتجارة والزراعة[2]، ولا يزال البارثيون في الهند يشكلون جزءاً هاماً متقدماً من سكان غرب الهند، واعتنق عدد كبير من نابهى الزرادشتيين الإسلام[3].

وكان الفتح الإسلامى للهند عن طريق فارس، فقد جاءت حملة محمد بن قاسم عن طريقها[4]، ويقول الدكتور عبد الحى الحسنى: "أعلم أن الإسلام ورد الهند من جهة خراسان وما وراء النهر، فانعكست أشعة شمس العلم على الهند من قبل تلك البلاد[5]".

ونقل الفتح الغزنوى للهند الثقافة واللغة الفارسية لها، فكان غالبية الحاشية ورجال الإدارة والعلماء من الفرس، وعندما انتقل الغزنويون إلى لاهور فى أواخر دولتهم اتخذوها عاصمة لهم انتقلت دواوين الدولة للهند بعمالها من العنصر الفارسي[6]، وكذلك الحال في العصر الغورى، فقد كانت الفارسية هى اللغة الرسمية للحكم والإدارة لأن غالبية العمال كانوا من الفرس[7]، فقد تدفق الفرس للهند مصاحبين للفتح الغزنوى، وتولوا بها المناصب

---

(1) أربرى: تراث فارس، الفصل الرابع: فارس والهند بعد فتح محمود، ترجمة أحمد الساداتى، دار إحياء التراث العربى، 1959، ص125،126.

(2) Moreland and Atul Chandra; A Short History of India, Second Edition, Longman, London,p.134.

(3) ك. ا. نيلا كانتا شاسترى: صلات الهند ببلاد الغرب فى العصور الوسطى، ترجمة إبراهيم شكر الله، ديوجين، نوفمبر 1966، ص75.

(4) أحمد إدريس: الأدب العربى في شبه القارة الهندية، ص11.

(5) عبد الحى الحسنى: الثقافة الإسلامية، ص9.

(6) عبد الوهاب عزام: اللغة الفارسية قي الهند، ص3.

(7) جميل أحمد: سير حركة التأليف في الإقليم الشمالى الهندى، ص15.

الحكومية في الدولة الغزنوية ثم الدولة الغورية، وكان منهم الشعراء اللذين كانوا عاملاً هاماً في انتشار اللغة الفارسية في الهند، ومنهم من توطن فى الهند ولم يعرف غيرها موطناً ، فنشأ شعراء فرس من المولدين في الهند، مثل أبى الفرج الرونى ومسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى[1].

وكان للفرس اتصالاً تجارياً كبيراً بالهند منذ وقت مبكر، فقد باشروا نشاطاً تجارياً كبيراً مع موانئ الهند، وخاصة ميناء لاهرى على نهر السند، ومنجرور التى تقع على أكبر خور في المليبار[2]، وساعد انتشار الإسلام على الجانب الشرقى للخليج الفارسى كثيراً على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان السواحل فى هذه المنطقة بعد اختلاطهم وامتزاجهم، فاشتركوا في الإسلام واللغة العربية وفي أعمال الملاحة والتجارة مع الهند، مما جعل من العسير التمييز بين الفريقين، إلا أنه مع دراسة أسماء النواخذة الواردة في كتاب "عجائب الهند" لبزرك بن شهريار نجد غلبة العنصر الفارسى[3].

وهاجر إلى الهند كثير من علماء ما وراء النهر بعد انهيار الدولة السامانية، وخاصة مع ظهور مجال جديد ملئ بالغنائم فتحته فتوحات محمود الغزنوى، بالإضافة لقرب الهند من إقليم ما وراء النهر، والتحقت أعداداً غفيرة منهم بخدمة الدولة الغزنوية وشاركوا في نشر الإسلام بالهند، وكانت بلاد ما وراء النهر في ذلك الوقت تضم أعداداً كبيرة من العلماء اللذين عملوا على نقل الثقافة واللغة الفارسية للهند[4].

---

[1] عبد السلام عبد العزيز فهمى: دراسة حول غلام علي أزاد بلجرامى"حسان الهند"، طهران، 1970، ص14.

[2] محمود عرفة: النظم السياسية والاجتماعية في الهند في عهد بنى تغلق، ص58.

[3] محمد يوسف: علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى، كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، مايو 1953، مج15،ج1، ص25.

[4] عبد السلام عبد العزيز: انتشار اللغة الفارسية في آسيا المركزية، الكتاب التذكارى لندوة العلامة أبى نصر مبشر الطرازى للدراسات الشرقية الإسلامية، كلية الآداب جامعة عين شمس، قسم اللغة الفارسية وآدابها، ص281،282.

هذا بالإضافة إلى اتباع الدولة الغزنوية سياسة التهجير الإجبارى إلى الهند التى كانت أحد عوامل انتشار الإسلام في الهند، فكان السلطان محمود يرسل من يريد التخلص منه سواء أفراد أو جماعات إلى الهند، وقد ضمن السلطان محمود بهذا التهجير التخلص من المناوئين لحكمه، وفى نفس الوقت وضع ثقلاً بشرياً إسلامياً في الهند يدعم الوجود الغزنوى بها، ويعمل على حمايتها، وكثيراً ما كان هذا التهجير يتم بأعداد كبيرة قد تصل إلى عدة آلاف[1]، فعندما استولى السلطان محمود على خوارزم سنة 407هـ/1016م رأى ثبات الخوارزمية في القتال حتى هزمهم أصحاب السلطان واعملوا فيهم القتل والأسر، وسيروا الأسرى أفواجاً إلى غزنة، حتى امتلأت بهم سجونها، فلما اجتمع بهم أفرج عنهم، وأجرى لهم أرزاقاً كسائر الجند والحشم وسيرهم إلى بلاد الهند ليعملوا على حمايتها والحفاظ عليها[2]، كما كان السلطان محمود يرسل من يغضب عليه من رجاله، فقد أمر بعزل الوزير الكفء أحمد بن حسن الميمندى، وحبسه في إحدى قلاع الهند بعد أن دس له بعض الأمراء إلى السلطان، رغم خدمته التى استمرت ثمانية عشر عاماً، وظل في حبسه حتى وفاة السلطان محمود وولاية ابنه السلطان مسعود الذى أفرج عنه، وأسند إليه منصب الوزارة مرة أخرى، وظل بها حتى وفاته 424هـ/1032م[3]، وقد سار من خلفه من السلاطين على هذه السياسة، فقد أمر السلطان مسعود في سنة 422هـ/1032م بإيفاد نفر من أعيان الديلم كأبى نصر طيفور وغيره ومن يتعصبون لهم وعدد من غلمان السراى للتخلص منهم إلى الهند مع القائد أحمد بن ينالتكَين، ووعدهم بالحرية والصلات ليستفيد منهم في فتوحات الهند[4].

---

(1) محمد عبد الحميد الرفاعى: الدولة الغزنوية، ص101.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج8، 94،95. المنينى: شرح اليمينى، ص258،259.

(3) حربى أمين سليمان: المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء، مع ترجمة للكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1980، ص237.

(4) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص296.

ثالثاً الأفغان:

شكل الأفغان عنصراً هاماً من عناصر المسلمين في الهند، ويرجع قدومهم إليها إلى بداية العصر الأموى، فيذكر فرشته أنه في عهد يزيد بن معاوية عُزل خالد بن عبد الله، الذى يرجع البعض نسبه إلى خالد بن الوليد، من حكم كابل، ولخوفه من الرجوع إلى العراق رحل مع أسرته وفريق من العرب -بإرشاد من بعض زعماء كابل- إلى جبال سليمان التى تقع بين ملتان وبيشاور، واتخذها مقراً له، وزوج ابنة زوجته لأفغانى ذو سمعة حسنة تحول للإسلام، وقد ولدت هذه السيدة أبناء انبثق منهم شخصان حصلا على شهرة واسعة وهما سورى ولودى، وقد انبثقت غالبية القبائل الأفغانية من هذا المصدر، وعندما فتح محمد بن القاسم السند توطدت علاقتهم مع المسلمين الذين استقروا في السند، وقد عمل المسلمون الأفغان في الزراعة وتربية الخيل ورعى الأغنام[1]، واختلطوا بالهنود وتزوجوا منهم، فظهر خليط من الدم الهندى والأفغانى في سهول بشاور والديره جاط[2]، فقد تزوج كثير منهم من نسوة هنديات، وبذلك ذاب الأفغان في الهند، و"تهندت" سلالتهم بسرعة، فصاروا ينظرون للهند نظرتهم إلى وطنهم، ولا عجب فلم يكن الأفغان مجموعة عرقية غريبة عن الهند، فقد كانوا شعباً آرياً وثيق النسب بشعب الهند، وكانت بلادهم طوال فترة مديدة من التاريخ جزءاً من الهند، ولغتهم "الباتشو" تنحدر من اللغة السنسكريتية[3].

وأول من أشار إلى الأفغان (بصيغة أفكَانا) هو الفلكى الهندى فراها مهرا (أوائل القرن السادس الميلادى) في كتابه "برهات. سمهيتا"، وبعد قليل ظهرت إشارة لعلها كانت ترجع إليهم في سيرة هيون. تسانغ الذى ذكر اسم قبيلة أبئوكين (أفكَان)، كانت تسكن الجزء الشمالى

---

[1] Eliot & Dowson; The History of India as told by its own Historians,Part 6,Pp.566.

[2] عبد الحميد يونس:الأفغان، دائرة المعارف الإسلامية مج4 ، ص3 :5.

[3] جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ص147، 149.

من جبال سليمان. وأقدم مصنف إسلامى ذكرهم هو كتاب "حدود العالم" (سنة372هـ /982م)، وتلاه كتاب تاريخ يمينى للعتبى، ثم كتاب البيرونى[1].

وعندما تزايدت أعدادهم نزلوا من الجبال في سنة 143هـ/760م، واستولوا على مناطق من الهندوستان مثل كارماجا وبيشاور وشانيوران، ودخلوا بذلك في حروب متواصلة مع راجا لاهور الذى صمم على منع اعتداءاتهم، فأرسل إليهم جيشاً مع أحد أمرائه فهزموه هزيمة ساحقة، فأرسل إليهم ابن أخيه على رأس جيش مجهز تجهيزاً قوياً، فهب لنجدتهم قبائل الخلج والغور الذين أسلموا ورأوا أن من واجبهم مساندة رجال بلدهم، فبعثوا إليهم بأربعة آلاف رجل لمساندتهم، وخاضوا الكثير من المعارك مع الهنود كان النصر فيها حليفهم، وفي أثناء ذلك تحالفوا مع جاكهارس عدو راجا لاهور، فرأى راجا لاهور لوضع حداً للنزاع أن يترك لهم بعض مقاطعات لامغان، وضم لهم قبيلة الخلجيين التى كانت قد سكنت هذه الصحراء في مستهل عهد الأفغان، وكانت شروطه أن عليهم حراسة الحدود، وصد هجمات المسلمين عن هندوستان، وشيد الأفغان قلعة قى كوهستان بجبال بيشاور التى أطلقوا عليها خيبر، وامتلكوا إقليم الروه.

ولكن مع ظهور الدولة الغزنوية واعتلاء ألبتكين عرش غزنة، قام قائده سبكتكين بعدة هجمات على لامغان وملتان، وحمل كثيراً من الأفغان معه، ولم يقدر الأفغان على تحمل هذه الهجمات، فاستنجدوا براجا لاهور "جيبال" الذى كان لا يستطيع أن يحتل هذه الأجزاء بسبب البرد الشديد، ولذا عين على الأفغان أمير منهم ذو مكانة عالية، وهو " شيخ حميد" الذى حصل على مقاطعة لامغان وملتان، وبذلك أصبح للأفغان أميراً وحكومة خاصة بهم، وعندما أعتلى سبكتكين العرش أرسل إليه الشيخ حميد يطلب منه الصلح، فوافق سبكتكين مضطراً، وبعد موت جيبال تعامل سبكتكين مع الشيخ حميد بمودة ومنحه إقطاع الملتان، ولكن السلطان محمود الغزنوى تعامل معهم بطريقه مختلفة عن والده، فقد أخضع الأفغان

[1] عبد الحميد يونس:الأفغان، المرجع نفسه ،مج4 ، ص3 :5.

وقتل زعمائهم وضم ممتلكاتهم[1]، وبذلك لم يكن للأفغان أى وزن سياسى إبان العهد الغزنوى، ولم توجد بشأنهم إلا إشارات قليلة في المصادر، فيذكر الكرديزى إرسال السلطان مسعود الأمير إيزديار إلى سفوح جبال غزنة لإخضاع الأفغان العصاة[2].

وقد شكلوا جزءاً من عناصر الجيش الغزنوى، فيذكر ألفى أن بهرام شاه حشد جيشاً من الأفغان والخلج في عام 547هـ /1153.1152م، واستمرت الأمور على ما هى عليه بظهور الدولة الغورية[3]، فيذكر فرشته أنه في عام 588هـ/1192م كان الجيش الذى حشده معز الدين محمد بن سام الغورى يتألف من الأتراك والتاجيك والأفغان، وحشد خصمه الهندى بيثورای (برتهوی راج) قوة من فرسان الراجبوت والأفغان[4]، وقد حارب بذلك الأفغان مع الجانبين في الحرب الكبرى التى دارت بين المسلمين والهندوس، وظل الأفغان جنساً شرساً من لصوص الجبال، باستثناء الفترة التى عملوا فيها جنوداً مرتزقة، إلى أن تولى زمام الحكم واحد منهم وهو بهلول لودى، الذى ارتقى عرش دهلى عام 855هـ/1450م، وقد قضى بابر على حكم هذه الأسرة عام 932هـ/1525م.

أما عن القانون الاجتماعى الخاص بالقبائل الأفغانية، فأركانه هى حق الالتجاء "ننواتائى"، والانتقام أخذاً بالثأر "بدل"، وإكرام الضيف "ميلمستيا". وتأخذ معظم القبائل بالنظام الديموقراطى، فالخان . الذى يتولى منصبه بالوراثة . مقيد السلطة، ويبت في الأمور الهامة بالتشاور مع زعماء القبائل والعشائر، ولمجلس القبيلة أو مجلس القرية "جركَا" شأن كبير، ولكن شبه الاستقلال الذى تمتعت به كثير من القبائل أخذ يتقلص باستمرار في أفغانستان تقلصه في الهند[5].

---

[1] Eliot & Dowson; The History of India as told by its own Historians,Part 6,Pp.566:569.

[2] الكرديزى: زين الأخبار، ص332.

[3] الأفغان، دائرة المعارف الإسلامية ، مج4، ص5.

[4] محمد قاسم هندوشاه: تاريخ فرشته، ص58.

[5] الأفغان، دائرة المعارف الإسلامية، مج4، ص4،6.

رابعاً الأترك:

كان للأترك السيطرة الرئيسية على حكم المسلمين في القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادى عشر الميلاديين، فقد سيطروا على الخلافة العباسية، وجذب هذا النجاح المزيد منهم الذين نجحوا في إقامة دول مستقلة، والتى من أهمها للبحث الدولة الغزنوية في أفغانستان والهند(1)، وقد اتهم الكثيرون الأتراك بالبعد عن الحضارة، فيذكر بانيكار "إن الثقافة الإسلامية العظيمة من الصعب أن تقدم بواسطة الأتراك والأفغان الذين دخلوا الهند في أعقاب محمد غورى. هم بلا شك قدموا الدين الإسلامى، أما الحضارة المتزامنة للإمبراطوريات الإسلامية ببغداد أو القاهرة أو قرطبة لم تجد أى صدى في قلوب الملوك الأتراك الذين ترسخت فى أيديهم القوة السياسية(2)"، ولكن في ذلك تحامل على الأتراك، فقد تألق بلاط السلطان محمود الغزنوى فى غزنة بما ضمه إليه من مشاهير العلماء، كما كان السلطان محمود نفسه من العلماء، وقد سار سيرته خلفائه مما تم ذكره فى الفصل السابق.

كما اتهم كثير من المستشرقين الأتراك ومن جاء بعدهم إلى الهند أنهم كانوا شديدوا القسوة والتدمير للبلاد، فقد ذكر "بول بريس" والفاتحين الذين جاءوا بعد ذلك من الأتراك وغيرهم لم يكونوا بنفس سماحة العرب، فقد كانوا أقل في الثقافة الدينية، وأكثر حداثة بالإسلام، وأكثر قسوة في نشره(3)"، ويرى لين بول أن فتح الأتراك للهند ما هو إلا امتداد للغزوات التى شنها عليها الهون والترك والمغول والآريين والإسكندر طمعاً في ثروات الهند الغنية، وقد حملوا هذه الثروات إلى بلادهم بعد أن خربوا الهند واستنزفوا ثرواتها(4)، كما وصفوا السلطان محمود بالتعصب والطمع والتعطش للدماء، ولكنها صورة تبعد عن حقائق التاريخ، فقد كان السلطان محمود مجاهداً شجاعاً موهوباً، كثير الغزوات وأكثر غزواته لنشر الإسلام(5)، أما عن اتهام الأتراك بالبربرية والهمجية في حروبهم فغير صحيح، وإن حدث

---

(1) Stanley Lane Poole; Mediaeval India ,p.15.

(2) Panikkar,A Survey of Indian History,First Published,London,1947,p.161.

(3) Powell Price, A History of India, p.101.

(4) Stanley Lane Poole, Op. Cit,p.14,21.

(5) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص94.

ذلك ففي حالات عارضة، لقد اعتنق الأتراك الإسلام عبر إيران، ولذلك عندما حملوه إلى الهند حملوا معهم الثقافة واللغة الفارسية التى تطبعوا بها[1]، وقد وضع سبكتكين وابنه محمود التقاليد الغزنوية التى ستترك أثراً كبيراً في تاريخ إيران والهند، وهذه التقاليد تتمثل في طابع العناصر التركية الفتية التى اعتنقت الإسلام في القرن الرابع الهجرى، وما عرفت به من التعصب الشديد للسنة، والنظرة الضيقة للدين، والولاء العميق لخليفة المسلمين، وقد سعوا بكل قوتهم لنشر الإسلام بالجهاد ومحاربة الفرق المخالفة للسنة[2].

وشكل الأتراك والأفغان والفرس مع قليل من العرب الطبقة العليا في المجتمع الإسلامى في شمال الهند بعد الفتح الغزنوى لها، وكانت السلطة في يد الأتراك لتمركز القوة العسكرية في أيديهم[3]، فقد قامت الدولة الغزنوية على العبيد الأتراك المحاربين الذين عرفوا بالموجابيد، وبالرغم من تساوى الجانبين التركى والهندى في القوة العسكرية، إلا أن انتصار الأتراك يرجع إلى ما تدربوا عليه من أسلوب حرب العصابات الذى يعتمد على الكر والفر[4].

التقسيم الاجتماعى للمسلمين في الهند:

النتيجة الاجتماعية الرئيسية لدخول الإسلام الهند هى تقسيم المجتمع على أساس رأسى، بينما كان المجتمع الهندى مقسماً أفقياً، ولم تأثر البوذية أوالجينية في هذا التقسيم. وقد سار التقسيمان متوازيان على نفس الأرض[5]، فقُسم المجتمع الإسلامى إلى ثلاث طبقات الطبقة العليا وتشمل السلاطين والحكام والولاة وكبار العلماء والقضاة ورؤساء الدواوين

---

(1) Majumdar,Raychaudhurl,Kahkinkar Datta: An Advanced History of India, Part 11, London,1951,p.144.

(2) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى، ص281.

(3) Habibullah, The Foundation of Muslim Rule in India, Lahore,1945,P.272.

(4) S.A.A.Rizvi;Muslim India,The World of Islam, Edited by Bernard Lewis, P.301.

(5)K.M.Panikkar :A Survey of India History, London, first published, 1947, P.162.

وقادة الجند بالإضافة إلى حكام السند الذين أسلموا وظلوا على ولاياتهم، والطبقة الوسطى التى تشمل ملاك الأراضى والتجار وعامة العلماء وأصحاب المهن والجنود، وطبقة العامة وتشمل الفلاحين والعمال وأرباب الحرف الصغيرة[1]، بالإضافة إلى العبيد.

ولم تكن الطبقة العليا متجانسة عرقياً، وإن غلب عليها الأتراك بعد الفتح الغزنوى للبلاد، كما وجد أيضاً عرب وأفغان وبعض الجاويون بالإضافة للهنود، وهذا التناقض الكبير في طبقة النبلاء لم يجعل لهم وحدة، ولهذا لم يستطيعوا أن يقفوا أمام السلاطين، وكان السلاطين لا يعينون في المناصب العليا إلا النبلاء بالمولد[2].

وكان لطائفة التجار ما يشبه النقابة، فضلاً عن الحى الخاص بهم، ومما يدل على ذلك وجود ما يشبه الرئيس لهم ويلقب "بملك التجار"، وهو نفس النظام الذى كان سائداً في المدن التجارية الفارسية، وكان لبعضهم حظوة وجاه ، مثل ملك التجار قطب الدين وغيره، وقد تمتعت الطبقة الوسطى عموماً بعطف سلاطين دهلى، ولذلك استمتعوا بممارسة حياتهم الاجتماعية بمختلف مظاهرها، واقتنوا الكثير من المماليك والجوارى. أما طائفة الحرفيين والصناع فإن كانوا أقل في المركز الاجتماعى عن التجار إلا أن التجار والحرفيين كانت بينهم مصالح مشتركة ومعاملات مترابطة، وانتظمت الحرف والمهن في صورة طائفية، أى في شكل نقابى مثل التجار[3]، واهتم بعض الحرفيين والتجار وغيرهم بالتعليم، فظهر منهم علماء وفقهاء، ومنهم من اهتم بالعلم لتولى التدريس في المدارس أو الترقي في مناصب الدولة، وآخرين تفقهوا في الدين للتعبد، ومن هؤلاء خرج الصوفية[4].

وقد توارثت أسر العلماء المناصب الدينية، كما يحدثنا ابن بطوطة عن لقائه بخطيب مدينة سيوستان المعروف بالشيبانى، الذى أظهر له كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لجده الأعلى بخطابة هذه المدينة سنة 99هـ/717م، ومازال أفراد أسرته يتوارثون هذا المنصب

---

(1) عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان، ص179.

(2) Nilakanta Sastri, Advanced History of India,p.378.

(3) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلى، ص280: 282.

(4) عادل رستم: المرجع نفسه ، ص282.

حتى زيارة ابن بطوطة للمدينة[1]، وظهر من ذرية السلاطين أنفسهم علماء، فسراج الدين بن منهاج الدين عثمان بن إبراهيم بن عبد الخالق الجوزجانى أحد أحفاد السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوى، فقد زوج السلطان إبراهيم جميع بناته للعلماء المشاهير، وتزوجت إحداهن من الجد الثالث لمنهاج سراج وأنجبا إبراهيم والد العالم منهاج سراج والد العلامة سراج الدين[2]، كما يحدثنا ابن بطوطة عن أحد كبار الأمراء في بلاط السلطان محمد التغلقى يعرف بقاضى غزنة لعلمه وهو من ذرية السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى، والسلطان يقربه ويخاطبه بالأب ويخاطب ابنه بالأخ[3].

وكان للعلماء والفقهاء نفوذ كبير سواء على الرعية أو السلاطين، فكما قال الغزالى "السلاطين يحكمون على الرعية والعلماء تحكم على السلاطين"، وكان للفقهاء دور بارز في تعريف السلاطين بحدودهم الشرعية وإذكاء المشورة إليهم، كما كان للفقهاء دوراً هاماً في جعل بيعة السلطان واجبة وشرعية، كما حدث عند تعيين قطب الدين أيبك الذى أظهر وثيقة عتقه لقاضى قضاة دهلى، فقد كان لقاضى القضاة دور بارز في البيعة والشهادة. ومن المعروف اصطحاب السلاطين في غزواتهم عدداً من الصوفية والفقهاء فضلاً عن تقدمهم في استقبالات البلاط و المجالس الخاصة والعامة، كما كان لمشايخ الصوفية أهمية كبيرة في الحاشية السلطانية بجانب الفقهاء، فقد كان الشيخ الصالح أيوب بن أبى أيوب التركمانى الدهلوى الزاهد نافذ الكلمة عند السلطان بهرام شاه الذى كان يعتقد فى فضله وصلاحه، واعتكف فترة فى قصر الحوض السلطانى، وقد ينشب الصراع بين الفقهاء والصوفية للنفوذ الطاغى لبعض الصوفية والذى كان ينتهى بانتصار ساحق للصوفية[4].

ولم يحظ العلماء والصوفية باحترام كبير لمكانتهم الدينية ونفوذهم لدى الحكام فحسب، ولكن لامتلاكهم الكثير من الأراضى وتمتعهم برعاية عظيمة من التجار، هذا عن غالبيتهم

---

(1) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص5.

(2) منهاج سراج: طبقات ناصرى، مج1، ص239.

(3) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص49.

(4) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية، ص،1،2،75. 113،282،287،288

العظمى ولكن أعداداً قليلة من العلماء عانت من الجوع والفقر وهى التى لم تسع للتقرب للحكام وأولى النفوذ[1].

وقد قام القضاة بدور بارز في نشر الإسلام في السند وفي الإشراف على الشؤون الدينية والأمور التعليمية، وقد عين محمد بن القاسم في كل بلد فتحها قاضياً، كما في الديبل والنيرون وقنوج وغيرها، وكان المسجد مقراً للقضاء ونشر الإسلام وعلومه[2]، وكان القضاء متوارثاً في بعض الأسر، ومن أهمهم أسرة القاضى موسى بن يعقوب الثقفى في مدينة آلور، التى توارث أفرادها القضاء حتى سنة 613هـ/1216م، وهى السنة التى قام فيها علي الكوفى – مترجم كتاب ججنامة "فتحنامة سند" من العربية إلى الفارسية– بزيارة قاضى مدينة آلور الذى كان من تلك الأسرة العربية واسمه إسماعيل بن على الثقفى[3]، وعندما أنشأت المدن العربية كالمحفوظة سنة 112 هـ/730م والمنصورة سنة 121هـ/738م والبيضاء سنة 125هـ /742م بنوا فيهم المساجد التى كانت مقراً للقاضى، وصارت المنصورة عاصمة إقليم السند فترة الحكم العربى، وكان القاضى يعين من قبل الخلفاء العباسيين، ولذلك كان قاضى المنصورة يحمل لقب " قاضى القضاة " في بلاد السند[4].

ومنهم القاضى محمد بن أبى الشوارب الذى عينه الخليفة سنة 282هـ/895م، وهو من أسرة عربية عريقة في القضاء ومن أئمة علماء عصره، ولذا كانت له مكانة عظيمة لدى عرب السند حتى صاهره حكام الأسرة الهبارية، وقد توارث أبناؤه هذا المنصب من بعده[5]،

---

[1] S.A.A.Rizvi; Muslim India,The World of Islam, Edited by Bernard Lewis,p.301.

[2] عبد الله الطرازى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، ج2، ص205.

[3] عبد الله الطرازى: المرجع نفسه ، ج1، ص400. عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان، ص 155، 225،226.

Fathnama I-Sind: p.137.

[4] عبد الله الطرازى: المرجع نفسه ، ج2، ص206.

[5] المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص81 .

وكذلك قاضى المنصورة أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح المنصورى السندى الداودى المذهب، وقد لقيه المقدسى وذكر عنه "إماماً في مذهبه وله تدريس وتصانيف قد صنف كتباً عدة حسنة"، والتى من أهمها المصباح والهادى والنير[1].

وكان للمسلمين قضاة حتى في البلاد الخارجة عن السيطرة الإسلامية، فالمسلمون في مملكة بلهرا لا يحتكمون إلا إلى قاضى يختارونه من بينهم، ويذكر ابن حوقل " والمسلمون لا يقبلون أن يحكم عليهم إلا مسلم منهم، ولا يتولى حدودهم ولا يقيم عليهم شهادة إلا من في دعوتهم"، وإن قل عددهم في بعض الممالك قبلوا الحكم من أهل العدل من أهلها اللذين يأخذون الحق بقول المسلم، مما يدل على سمعة المسلمين الحسنة وقوة مركزهم وإن قل عددهم فى بعض المدن [2]، وفى كل مدن الهند لا يعاقب المسلم إذا أجرم بل يرد أمره إلى قاضى للمسلمين يسمى "هنر" ليحكم فيه بحكم الإسلام.[3] ويحكى بزرك بن شهريار حكاية طريفة عن زنا مسلم من أهل الفجر بصنم على هيئة امرأة جميلة بصيمور، فضبطه القيم على الصنم وذهب به إلى ملكهم، الذى أرسل إلى هنر المسلمين بصيمور -وهو رجل من سيراف يسمى العباس بن ماهان- يسأله عن حكم الرجل إذا زنا في المسجد، فأراد العباس أن يعظم له من شأن الإسلام عندهم فذكر أن عقابه القتل، فقتل الملك الزانى، فلما علم العباس بالخبر خرج من المدينة سراً خوفاً من أن يمنعه الملك من الرجوع لبلاده[4].

وكانت سلطة القضاء مقسمة بين القاضى والمحتسب وقاضى المظالم، وأهم ما يقوم به القاضى فض المنازعات واستيفاء الحقوق والنظر في الأوقاف وتنفيذ الوصايا وإقامة الحدود

---

[1] المقدسى أحسن التقاسيم، ص381. عبد الحى الحسنى: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص50

[2] ابن حوقل: صورة الأرض،القسم الثانى، ص220

[3] بزرك بن شهريار: عجائب الهند، ص160،161.

[4] بزرك بن شهريار: المصدر نفسه، ص108.

وتزويج الأيامى. ويشترط لتوليته الذكورية والبلوغ والعقل والحرية والإسلام وسلامة السمع والبصر والعلم بأحكام الشريعة[1].

أما أهم اختصاصات ولاية المظالم فهى النظر في تعدى الولاة على الرعية وجور العمال في جباية الضرائب وتجاوزات كتاب الدواوين ونقص العطاء أو تأخره ورد الغصوبات ومشارفة الوقوف وتنفيذ ما عجز القاضى عن تنفيذه لقوة المحكوم عليه والنظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة ومراعاة العبادات الظاهرة. ويشترط لتوليته أن يكون جليل القدر، نافذ الرأى، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع[2]، وقد وجدت "دار المظالم" في السند منذ الفتح لتنظر في القضايا العاجلة، وقد تولى محمد بن القاسم نفسه رئاستها، وكان الحاكم أو القاضى يقوم بذلك فيما بعد.

كما وجدت وظيفة المحتسب في السند فترة الحكم العربى، وأهم وظائف المحتسب هي الإشراف على الأسواق ومراعاة الآداب العامة[3]، وأحياناً كانت وظائف القاضى والخطيب والإمام والحسبة تعطى لشخص واحد، وقد حدث ذلك كثيراً وخاصة في الأيام الأولى لحكم السلاطين عندما كان تعداد المسلمين في بعض المدن قليل[4].

وكان على رأس ديوان القضاء "قاضى الممالك"، ووجدت هذه الوظيفة في العصر الغزنوى واستمرت في عصر سلطنة دهلى بعد ذلك، وكان يعرف غالباً "بصدر الصدور"، وهى من أكبر الوظائف الهامة ولذلك كان يعاونه خطيب الخطباء الذى كان له مكانة هامة في المحكمة. وقاضى القضاة هو المسئول عن إدارة الشئون الدينية، وإليه ترفع القضايا من

---

(1) النويرى "شهاب الدين أحمد": نهاية الأرب في فنون الأدب،ج6،ط1،القاهرة ، دار الكتب، 1926، ص248، 256:254.

(2) النويرى: المصدر نفسه ، ج6، ص265، 274:271.

(3) عبد الله الطرازى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، ج2، ص208،210. عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان، ص228.

(4) Ishtiaq Husain Qureshi: The Administration of the Sultante of Dehli, Second Edition, Lahour,1944,P.175.

المحاكم الإبتدائية، كما أنه المسئول عن تعيين القضاة المحليين عدا قاضى دهلى الذى كان السلطان يعينه. كما كان لكل حصن قاضياً يسمى "قاضى الحصن"، ولعلو شأن هذا المنصب أطلق عليه بعض السلاطين "خوند عالم[1]"، وحل بعد ذلك منصب "صدر الصدور" محل منصب "قاضى الممالك"، وهو بمثابة وزير العدل، وكان يسمى "صدر جهان" و"صدر الإسلام" و"قاضى القضاة"، وكان يوكل إليه أمور العلماء القاطنين والواردين كلهم، ثم اتسعت سلطته ونشاطاته. وأول من تولى هذا المنصب هو قاضى القضاة وجيه الدين الكاسانى في عهد كل من السلطان قطب الدين أيبك ومن بعده شمس الدين أيلتمش، وقد كان له دوراً سياسياً هاماً فهو الذى أخذ بيعة السلطان شمس الدين أيلتمش الذى أخرج له وثيقة عتقه. وقد كان لقاضى الممالك حق الاستقالة وخاصة عند تولى سلطان جديد. فقد ولى السلطان معز الدين بهرام شاه القاضى عثمان بن محمد الجوزجانى ولاية قضاء الممالك، وأقطعه أعمال هانسى، وقد استقال بعد وفاه بهرام شاه وتولى ابن أخيه مسعود شاه السلطنة[2].

وكان يعاون القضاة في مهامهم المفتون، وهم من علماء الفقه والتشريع ، خاصة في القضايا المعقدة التى تحتاج إلى قياس واجتهاد، كما كان يعهد لقادة الجيوش الفصل في القضايا التى تعرض عليهم في ميادين القتال[3].

أما بالنسبة للهندوس الغالبية العظمى للسكان فقد تركوا لنظامهم القديم في القضاء، للجوء إلى لجان تحكمهم لفض اختلافاتهم الخاصة، أما الجرائم العامة والسياسية، أو

---

[1] عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلى، ص72،73.

- Ishtiaq Husain Qureshi: OP.Cit.,P175.

[2] عادل رستم: المرجع نفسه ، ص79،87.

- Ishtiaq Husain Qureshi: OP.Cit.,P175.

[3] محمود عرفة محمود: النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية18، الرسالة 128، ص41.

الخلافات بين الهندوس والمسلمين فكان الاحتكام للقاضى المسلم[1]، الذى كان يستشير مفتياً مسلماً وفقيه من البراهمة فى الدين والقانون، والمسلمون هم الذين وضعوا القانون الهندى المعروف الذى نص على أن يكون القانون الإسلامى خاصاً بالمسلمين بينما القانون الهندوسى "دهرما" خاصاً بالهندوس. فكان الحكام المسلمون متسامحين مع رعيتهم غير المسلمين، ولم يتشددوا عليهم إلا في حالات استثنائية[2].

وتظهر المكانة العالية للفقهاء لدى السلاطين في تقدمهم في المجلس السلطانى، فهم أول من يقف بين يدى السلطان، فيقف أولاً قاضى القضاة، ويليه خطيب الخطباء، ثم سائر القضاة، ثم كبار الفقهاء، ويتبعهم سائر المشايخ، ويأتى بعدهم كبار الأمراء والقواد، وهم أول من ينادى عليهم الحجاب للسلام على السلطان في الأعياد بنفس ترتيبهم، كما أنهم تصدروا سماط الطعام السلطانى، ولكلٍ مكانه محفوظ بترتيب مكانته[3]، ويحدثنا ابن بطوطة عن مكانة القاضى في جزائر ذيبة المهل، الذى يسمونه فَنْدَيار، "وأحكامهم كلها راجعة إلى القاضى وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين وأمره ممتثل كأمر السلطان وأشد"، وراتبه مجابى ثلاثة جزر[4]، وقد صاحب العلماء السلاطين في فتوحاتهم، بل تواجدوا معهم في قلب المعركة، فكان الأئمة والعلماء تحيط بالسلطان في موقعه في قلب الجيش[5].

وكانت المذاهب السنية الأربعة معترف بها في القضاء في الهند، وإن كانت الغلبة للمذهب الحنفى، لاعتناق غالبية الرعية والجنود له، فقد تفقه السلطان وغالبية الجند على المذهب الحنفى[6]، وإن لم يمنع ذلك من تولية قضاة على المذاهب الأخرى، فقد تولى ابن

---

(1) H.M.Elliot & John Dowson; The History of India as told by its own historians, P.478.

(2) آصف على أصغر فيضى: القانون الإسلامى فى الهند، ثقافة الهند، مج16،ع1، يناير 1966، ص2،7.

(3) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص34،37،39.

(4) ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج2، ص123.

(5) محمود عرفة: النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق، ص45.

(6) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلى، ص267،268.

بطوطة قضاء دهلى وهو على المذهب المالكى، ولذا عين له السلطان محمد شاه تغلق نائبين على المذهب الحنفى يشاورانه[1].

ومن أبرز القضاة الحنفية في العصر الغزنوى، صاعد بن محمد الإستوائى يكنى أبو العلاء، كان أستاذاً للسلطان مسعود، وانتهت إليه رئاسة المذهب الحنفى في عصره، ومن قضاة نيسابور النابهين أبو بكر عبد الله بن محمد البستى، الذى كان له جهاد في الهند وخاصة مع السلطان محمود وابنه مسعود[2]، والقاضى أبو الحسن المُؤمَّل بن الخليل بن أحمد البستى، وهو من الأدباء والعلماء، كان خطيب غزنة ثم ولى قضاء بست والرخج، وهو من أسرة قضاة، لقيه الثعالبى بغزنة[3]، وعبد الله بن الحسين أبو محمد الناصحى قاضى القضاة وشيخ الحنفية في عصره، ولى قضاء بخارى للسلطان محمود الغزنوى، وكان له مجلساً للتدريس والإفتاء، وعرف بطريقته الحسنة في الإجتهاد، توفي447هـ/1055م[4]، والقاضى أبو الفضل أحمد بن محمد الرشيدى اللوكرى،من أولاد هارون الرشيد، ولى قضاء سجستان، والسفارة بين السلطان محمود وأمير المؤمنين القادر بالله، لقب "تاج القضاة وزين الكفاة رضى أمير المؤمنين[5]".

عادات وتقاليد المجتمع المسلم فى الهند:

امتدح الرحالة الذين زاروا السند والهند أخلاق غالبية أهلها من المسلمين، فوصف المقدسى أهل المنصورة بالأخلاق الحسنة والمروءة والذكاء والفطنة وقوة إسلامهم وكثرة علمائهم. كما وصف أهل الملتان بحسن الأخلاق، فليس عندهم زنا أو شرب خمر، ومن يفعل ذلك يحد أو يقتل، ولا يخسرون في الميزان أو يكذبوا في البيع، كما وصف نسائهم بالحشمة وحسن الخلق "لا ترى في الأسواق امرأة متجملة ولا أحد يحدثها علانية"، وهم أهل مروة

---

(1) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص

(2) سامية مصطفى محمد: دور سلاطين غزنة في نشر الإسلام في الهند، ص182،186.

(3) الثعالبى: يتيمة الدهر،(التتمة)، ص267.

(4) ابن أبى الوفاء القرشى: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج1،ص274،275.

(5) الثعالبى: المصدر نفسه، ص269.

وفارسية وظرف، وسلاطينهم عادلة". وفي مقابل ذلك وصف أهل بنجبور بمكران ببعدهم عن أخلاق الإسلام الحسنة، وسوء سيرتهم. كما وصف أهل تيز بتوسط أخلاقهم وبعدهم عن العلم والفضل.[1] ويذكر ياقوت الحموى رواية على لسان أحد التجار المارين بقزدار يمتدح بها أمانة أهلها، حيث ترك له الخياط ملابسه أمانة بالمسجد فوجدها كما هى، فلا يوجد بينهم لصاً، وإذا حدثت سرقة لديهم تكون من أحد الغرباء المارين عليهم فيلاحقوه حتى يقتلوه، ولذا يعيش أهل قزدار في أمان.[2]

وكان للطبقة العليا في المجتمع الإسلامي في السند فترة الحكم العربي مساكنها الخاصة. وكذلك للحكام العرب وأسرهم، فقد أقام الولاة العرب قبل بناء المنصورة داخل معسكرات خارج المدن بعيدين عن عامة الشعب، وكانت تسمى جندراور، كما ذكر الاصطخرى عن أمراء الدولة الماهانية،" وخارج الملتان على مقدار نصف فرسخ أبنية كثيرة تسمى جندراور، وهى معسكر للأمير لا يدخل الأمير منها إلى الملتان إلا في الجمعة... [3]". ثم بدأ حكام الدويلات المستقلة وخاصة في الدولة الهبارية يسكنون داخل المدن الكبيرة، وشيدوا القصور العظيمة، وأصبح لهم بلاط يحضره العلماء والشعراء [4]، أما مساكن الطبقة الوسطى فكانت غالباً من الطين خالية من الزخرفة، وقد سكنت العامة القرى وضواحى المدن في بيوت خشبية أو أكوخ من الخوص حيث عاشوا على الكفاف[5].

أما ملابسهم فكان الولاة وحكام المدن في العصرين الأموى والعباسي يرتدون الملابس العربية من الجلابيب الواسعة والعبايات والعمم الكبيرة، ويتشبهون في زيهم وتقاليدهم الرسمية بالخلفاء. ولكن مع بداية ظهور الدول العربية في السند في منتصف القرن الثالث

---

[1] المقدسى: أحسن التقاسيم، 378:381.

[2] ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج4، ص342.

[3] الاصطخرى: المسالك والممالك، ص104.

[4] عبد الله الطرازى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب،ج2، ص124.

[5] عبد الله الطرازى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب،ج2، ص128،129.

الهجرى بدأ تأثر الحكام العرب بملوك الهند في لبس الحلى والقراطق وفي تطويل الشعر، فقد ذكر الاصطخرى الذى زار السند في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى عن سكان المنصورة العرب في عهد الدولة الهبارية "وزيهم زى أهل العراق، إلا أن زى ملوكهم يقارب زى ملوك الهند في الشعور والقراطق[1]".

وبالنسبة لزى عامة الشعب من المسلمين والهندوس فهو واحد في اللباس وإرسال الشعر، "ولباسهم الأزر والميازر لشدة الحر ببلدانهم"، كما أن لبس القراطق فيهم ظاهر[2]، مما يدل على تأثرهم بالهنود في الزى والملبس، وفى القرى كان الفلاحون المسلمون والهندوس يرتدون "الداموطى"، ورداءاً عملياً شائعاً هو "البيجامات"، بل كان المسلمون يرتدونها أكثر من الهندوس، وكانت تلبس خاصة فى المناطق شديدة البرودة في الشمال حيث المرتفعات.

أما عن حلى النساء فقد كانت شائعة لكل من المسلمين والهندوس، وكثير منها أخذوا أسمائها من مصدر هندى أو مسلم، وقد ارتدت النساء الهنديات والمسلمات "السارى"، وقد كانت " البردة" زياً إسلامى، ومع ذلك كانت شائعة بين الهنود والمسلمين، وإن تغير شكلها من منطقة لأخرى[3]، ومما يدل عليه توحد زى المسلمين والهندوس مدى الاندماج الحضارى والمعيشى الذى وصلوا إليه، كما يدل على الحرية في الملبس التى أتيحت لأهل الذمة من الهندوس في ظل الحكم الإسلامى، أما لباس العلماء والقضاة فكان فرجيات ودراريع والعمامة، أما أزياء الصوفية فهى الصوف عاماً، أما الدراويش فكل حسب طريقته التى ينتمى إليها[4].

وظهر التأثير والتأثر في عادة دفن الموتى بين المسلمين والهندوس، فيذكر الإدريسى (548هـ) أن البلاد الهندية المجاورة للسند الذين اختلطوا بالمسلمين تأثروا بهم في عادة دفن

---

(1) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص103. عبد الله الطرازى: المرجع نفسه، ج 2، ص125.

(2) الاصطخرى: المصدر نفسه، ص105.

(3) Lilavti Munshi and Others, Indian Inheritance, Vol.2, Arts, History and Culture, Organising Committee, Bombay,1956, p.139.

(4) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلى، ص361. والفرجيات مفردها فرجية، وهى جبة ذات أكمام واسعة طويلة، وهى غير مفتوحة، وقد كانت تشكل جزءاً أساسياً من خلعة الخلافة العباسية.

الموتى، فكانوا " يدفنون موتاهم في بيوتهم بالليل تستراً ويسوون التراب عليهم"، وقد كان الهنود يحرقون موتاهم ولا قبور لهم[1]، وقد تأثر المسلمون من الطبقة العليا بالأبهة التى كان الهنود يصنعونها لموتاهم وخاصة لكبرائهم، فيذكر ابن بطوطة "وعادة أهل الهند أن يرتبوا لأمواتهم ترتيباً كترتيبهم بقيد الحياة ويؤتى بالفيلة والخيل فتربط عند باب التربة وهى مزينة"، وقد رتب ابن بطوطة مثل ذلك عند ترتيبه لمقبرة ابنته الصغيرة، كما رتب غير ذلك أربعمائة وستين من قراء القرآن والطلبة والمعيدين والمدرسين والصوفية والإمام والمؤذنين والحاشية الذين يقومون بالخدمة[2].

التقسيم الاجتماعي للهنود وتأثير الإسلام عليهم :

قسم جوستاف لوبون عروق سكان الهند إلى ثلاثة تقسيمات أساسية كبيرة، ويشتمل التقسيم الأول على سكان الهند الأصليين الذين لم ينالهم أى بصيص من الحضارة، وهؤلاء يقطنون المناطق المنعزلة والجبال، ويشتمل التقسيم الثانى على الهندوس الذين هم نتيجة توالد الداروبين والآريين مع السكان السود الأصليين، أما التقسيم الثالث فيشتمل على السكان المسلمين الذين هم نتاج توالد العرب والأفغان والفرس والترك وغيرهم ممن غزا الهند، وقد اختلطوا جميعاً بالهندوس وتزوجوا منهم، ونادراً ما يوجد الآن مسلماً في الهند لا تجرى في شرايينه الدماء الهندية، وإن كان المسلمون يختلفون عن مجموعة التقسيم الثانى إلا إنهم تأثروا بهذه المجموعة أكثر مما أثروا فيها[3]، بالإضافة إلى الذين اسلموا من الهندوس، وكانت غالبيتهم من الطبقات الدنيا المنبوذة التى أملت بإسلامها أن تحسن أحوالها بالانضمام للأرستقراطية العربية، بالإضافة إلى اهتداء القبائل الهندية التى كانت بنسبة ليست قليلة وخاصة في السند، وقد وصل بعض الهنود المسلمين لمكانة متميزة في المجتمع الإسلامى[4]. ويمكن التمييز بين المسلمين فب الهند أحفاد الأسر الإسلامية وأحفاد الهندوس الذين اعتنقوا الإسلام، فأحفاد الأسر الإسلامية أقلية يشبهون المثال التركى، أما الهندوس

---

(1) الإدريسى: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مج1، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ت)، ص190،189.

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص86.

(3) جوستاف لوبون: حضارة الهند، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط1، دار إحياء الكتب العربية،1948، ص188،189.

(4) Habibullah: The Foundation of Muslim Rule in India,p.272.

المسلمون فهم أكثر عدداً ويختلفون عن إخوانهم البراهمة مثالاً وأخلاقاً، ونخلص من ذلك أن تأثير المسلمين العرقى في الهند كان ضعيفاً عكس أثرهم الحضارى الذى كان كبيراً[1].

خضع الهندوس لنظام طبقات صارم، ترجع نشأته إلى قدوم الآريين إلى الهند الذين اعتقدوا أنهم أسمى من الدرافيديين، كما كان هناك بعض القبائل الأهلية المتخلفة المرتحلة التى تسكن الغابات، ولذلك عملوا على الفصل بينهم بنظام طبقى صارم كان له أعمق الأثر على الحياة الهندية[2]، فقد كان بمثابة القانون الذى يحكم الهند بأسرها، ويسمونه "ذار ماشا سترا" أى النصوص العرفية التى تفصل ما للطبقات من نظم وواجبات، وقد كتبها رجال من البراهمة من وجهة نظر برهمية خالصة، وأقدم هذه النصوص "تشريع مانو"، وهو الذى تسلسلت عنه جماعة المانوية، وقد أريد به فى بادئ الأمر أن يكون دليلاً لإرشاد براهمة المانوية، ثم تطور ليصبح التشريع الذى يحدد سلوك المجتمع الهندى كله، وعلى الرغم من عدم اعتراف الحكام المسلمين به إلا أنه اكتسب كل ما للقانون من قوة داخل حدود نظام الطبقات، وقد تزايد هذا النظام الطبقى تزمتاً فى العصر الفيدى مع زيادة الاحتكاك بالشعوب الأجنبية، مما وقف حائلاً دون امتزاج دم المسلمين بدم الهنود،فقد كان أساس الطبقات في العصر الفيدى هو اللون، ثم أصبح الأساس في العصور الوسطى الهندية هو المولد[3].

ويذكر نهرو أن نظام الطبقات المتحجر بدأ بخط صارم فصل بين الآريين وغيرهم الذين قسموا إلى العروق الدرافيدية والقبائل الأهلية، وكلمة "آريا" تنحدر من جزر بمعنى "حرث"، فكان الآريون مزارعين، وكانت الزراعة تعتبر مهنة نبيلة، وكان للمزارع أن يعمل بالكهانة وغيرها، وقد قصد بالتقسيمات الطبقية تمييز الآريين عن غيرهم، ولكن ما لبث أن عمل عمله في الآريين أنفسهم، فلما تزايد التخصص وتقسيم الأعمال اتخذت الطبقات الجديدة شكل طبقات اجتماعية متحجرة.وبذلك اعتبر نظام الطبقات حلاً سلمياً بدلاً من استئصال شأفة الشعوب المفتوحة، مع نزعة العقل الهندى إلى التخصيص وتوزيع العمل، وتبعاً لذلك ينقسم المجتمع الهندى إلى أربع طبقات رئيسية، الطبقة العليا هى طبقة البراهمة،

---

(1) جوستاف لوبون:المرجع نفسه، ص421،422.

(2) نهرو: اكتشاف الهند، ص90.

(3) ديورانت, ول: قصة الحضارة: الهند وجيرانها، مج1، ج3، بيروت، دار الجيل، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د. ت)، ص163،164.

وتليها طبقة الكشتارية وهى طبقة الحكام والمحاربين، وتليها طبقة فيشيا وتضم التجار والزراع والصناع، وتحت هؤلاء تأتى الطبقة الرابعة "شودرا" التى تضم الصناع والعمال غير البارعين باستثناء الزراع، وامتصت طبقة الشودرا عدداً كبيراً من أبناء القبائل الأهلية. وظلت عملية التشرب والامتصاص مستمرة ولم يحدث التحجر إلا بعد فترة طويلة من الزمن(1).

ويأتى على رأس الطبقات وأكبر المستفيدين من نظامها طبقة البراهمة، وقد احتكر البراهمة العلم وحرموه على الطبقات الأخرى. بل ينص تشريع مانو على سيادة البرهمى على العالم،"إذا ولد البرهمى وضع في الصف الأول من صفوف الدنيا". ولصيانة طبقة البراهمة منحت منح عامة وخاصة اعتبرت واجباً مقدساً، منها أن الملك ألا يقطع أمراً مهما كان دون استشارة البراهمة(2)، والبرهمى وإن ساءت سيرته فله أن ينصح الملك(3)، والبرهمى لا يدنس بذنب ولو قتل العوالم الثلاثة، ولا تطبق عقوبة القتل عندهم إلا على من يقتل برهمى وهى عندهم من كبائر الآثام التى لا تمحى، أما إذا قتل البرهمى فلا تلزمه إلا كفارة(4)، وفي مقابل ذلك كان على البرهمى التزامات، فكان عليه أن يعد نفسه للمهام الكتابية والأدبية والتربوية بدراسة القانون وحفظ كتب الفيدا، ولا يتزوج من خارج طائفته، وعليه مراعاة طقوس دقيقة فى طهارته وطعامه وشرابه، وإذا اقترف أثماً يدفع تعويضاً مضاعفاً(5).

أما طبقة الكشتارية فتتكون من الملوك والأمراء، ويقتصر عملهم على الفروسية والقتال(6)، وقد كان لهم السلطان على الميدان الفكرى والسياسى في عهد بوذا ولكنها توارت بعد عصر جوبتا، وعلى الرغم من اعتراف البراهمة بمحاربى الراجبوت إلا أن

---

(1) نهرو: اكتشاف الهند، ص91،92.

(2) أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى، ط7، (4) سلسة مقارنة الأديان، القاهرة النهضة المصرية،1984، ص62،63.

(3) منودهرما ساسترا: الفقه الهندوسى الأكبر، ثقافة الهند، ديسمبر 1952،مج3،ع3، ص98،99.

(4) أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى (ت440هـ): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1983، ص433.

(5) ديورانت, ول: قصة الحضارة: الهند وجيرانها، مج1، ج3، ص165:169.

(6) عبد الرحمن حمدى: الهند عقائدها وأساطيرها، ص42،43.

الكشتارية بعد سقوط راجبوتانا لم يلبثوا أن زالت دولتهم، ولم يبقى إلا طائفتان كبيرتان هما البراهمة التى كانت الطبقة الحكامة في الهند من الناحية الاجتماعية والفكرية، ثم يأتى تحتهم ثلاثة آلاف طبقة التى كانت بمثابة النقابات الصناعية[1].

وتأتى بعد ذلك طبقة الفايشيا التى تتألف من العوام، وهم لا يتمتعون بالمزايا الدينية والاجتماعية والاقتصادية للطبقة العليا، إلا أنهم يتميزون عن طبقة الشودرا بحق تملك الأرض، كما يسمح لهم بالتجارة وإقراض الأموال بالفائدة.

أما طبقة الشودرا فهى أسفل الطبقات، وليس لها مهنة خاصة، ولم يعترف لها بعمل إلا خدمة الطوائف السابقة في أخس حاجاتها[2]، وهم أصلاً سكان البلاد الأصليين التى أخضعهم الآريون وجردوهم من ممتلكاتهم ونزلوا بهم إلى أدنى مستوى، ومنهم من لجأ إلى الغابات والجبال المنيعة حيث مازالوا يعيشون عيشة بدائية منعزلة، ولجأ فريق آخر إلى عيشة التجوال، ومنهم نشأت القبائل الرحل التى لازالت تجوب الهند، واتخذ كثير منهم السرقة سبيلاً للرزق، وقد ركن الباقى للإقامة بالقرب من المدن الكبرى يعيشون في فقر مدقع، ويمارسون أحقر المهن كالزبالة والشحاذة والحواة والرقاصون وغيرها[3]، وهم دعامة الصناعة الهندية، ومنهم طائفتين: طائفة يحرم لمسها، والثانية أعلى منها وتسمى"الشودرا النقية"، وهى التى تحترف الصناعة والتجارة في المدن والخدمة فى المنازل، وهذا الفريق يجوز لمسه، ولكن سواد الشودرا يعدون أنجاساً لا يجوز لمسهم وهؤلاء هم المنبوذين، وإذا لمس رجل من الطبقة العليا منبوذاً أصبح جسمه وملابسه نجسه، وعليه أن يغتسل في نهر الكنج ليتطهر، ومن المنبوذين طبقة لا يجوز الاقتراب منهم حتى لا تتلوث أنفاسهم كما يحرم النظر إليهم، ويعاقب المنبوذ عقاباً صارماً إذا خرج عن ذلك[4]، ولا يجرى في الشودرا الدم الأرى مطلقاً، ولذلك فهم خطر على الدم الآرى وشددت شريعة مانو في عدم الزواج منهم، ومما

---

(1) ديورانت, ول: المرجع نفسه ، مج1، ج3، ص169.

(2) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند،ص28.

(3) البعثة الأزهرية إلى الهند: دراسة لأحوال الطوائف والهيئات الإسلامية بالهند وبحث في شؤون المنبوذين ومبلغ استعدادهم لاعتناق الإسلام، تقرير مرفوع على شيخ الجامع الأزهر وجماعة كبار العلماء، القاهرة، مطبعة حجازى، (د. ت)، ص71.

(4) البعثة الأزهرية إلى الهند: المرجع نفسه ، ص73،74.

جاء فى شريعة مانو "يجب على الشودرى أن يمتثل امتثالاً مطلقاً لأوامر البراهمة"، "خدمة الشودرى للبراهمة هى أفضل عمل يحمد عليه"، "لا يجوز للشودرى أن يجمع ثروة زائدة، ولو كان على ذلك من القادرين، فالشودرى إذا جمع مالاً آذى البراهمة بقحته[1]"، كما فرض مانو مجموعة من العقوبات القاسية على كل منبوذ يحاول أن ينال قسطاً من التعليم، بأن يصب الرصاص المصهور في أذنى المنبوذ الذى يسمع -ولو عن غير قصد- نصوص الفيدا وهى تتلى، ويكثر المنبوذون في الجنوب، ويقلون في الشمال نسبياً، كما تقل القسوة في معاملتهم في الشمال عنها في الجنوب[2]، وذلك لتأثر الهنود الخاضعين للحكم الإسلامي في الشمال الهندى بالمساواة والحرية التى أدخلها الإسلام معه إلى الهند، فلا تقسيم طبقى ولا حرمان من التعليم ولا تقسيم للحرف والصناعات، وقد كان ذلك صدمة عنيفة للعقل الهندى أفادت الهند كثيراً في التلطيف من شدة النظام الطبقى، وخاصة في المناطق التى خضعت للحكم الإسلامى، وكان ذلك باعثاً قوياً لظهور دعاة للإصلاح الاجتماعى ونبذ النظام الطبقى وتحرير المنبوذين، وقد ذكر الأستاذ اين .سى. مهتا أن فطرية التعاليم الإسلامية والمساواة أثرتا في الهند تأثيراً كبيراً، وكان للمساواة مظاهر كثيرة كصلاة الجماعة وصيام رمضان والزكاة والحج وغيرها من شرائع الإسلام، وقد وجد الهندوس الذين يئنون تحت وطأة الطبقية الجائرة ملاذاً في الإسلام[3].

ورغم ظروف المنبوذين التى قد تدفعهم لنبذ الهندوسية والدخول في الإسلام إلا أن المسلمين لم يحاولوا أن يدخلوا المنبوذين خصيصاً في الإسلام، فقد كانت الحكومات الإسلامية فى الهند قادرة على سن القوانين التى ترفع من مستواهم، وتعاملهم معاملة حسنة تجذبهم إلى الإسلام، لكن الحكام لم يتجهوا لذلك، كما أن المسلمين تأثروا في معاملتهم لهم بمعاملة الهندوس لهم، ولو عاملوهم معاملة تشعرهم بآدميتهم لدخلوا أفواجاً في الإسلام. وقد دخل كثير من المنبوذين في الإسلام، وإن كان دخولهم نتيجة الجهود الفردية

---

(1) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص30.

(2) البعثة الأزهرية إلى الهند: المرجع نفسه، ص74.

(3) محمد أكرم الندوى: التبادل الثقافى بين الهند والعرب، ثقافة الهند، 1990، مج41، ع1، ص167.

للمسلمين[1]، وهناك استثناءاً ملحوظ في البنغال ، فقد تحولت إحدى طوائف المنبوذين جملة للإسلام على أثر الفتح الإسلامى للبنغال، وقد كانوا شديدى الحماسة والتطرف فى الدين[2]، ففى القرن الثانى عشر الميلادى غزت البنغال الشرقية أسرة هندوكية متعصبة جاءت إليها من الجنوب، وطبقت نظام الطبقات الهندوكى بصرامة وشدة وتعصب، فلما فتح المسلمون البنغال وتغلبوا على هذه الأسرة وبشروا بالدين الإسلامى، جذبت دعوة الدعاة والتجار المسلمون المغلوبين على أمرهم، مما رأوه في الدين الجديد من مساواة وتسامح لم يجدوه في الديانة الهندوكية، فاقبلوا على اعتناقه[3]، فكان الإسلام فرصة للمنبوذين ليتحرروا من عبوديتهم، فبإسلامهم يرتقوا إلى مرتبة غيرهم من المسلمين على قدم المساواة، ولا يستطيع أحد أن يميز بينهم وبين غيرهم، بل منهم من يدعى الآن أن أجداده من العرب الفاتحين[4]، فجذبت فكرة الإخاء والمساواة المنبوذين للإسلام، وغالبية من اعتنق الإسلام في الهند من أبناء الطبقات الدنيا وخاصة في البنغال، إلا إن بعض أبناء الطبقات العليا دخلوا في الدين الجديد، ولكن ذلك كان يتم في معظم الأحيان لأسباب سياسية أو دينية[5].

وبلغ رسوخ سلطان نظام الطوائف في الهند أن تأثر المسلمون به رغم مخالفته للشريعة الإسلامية[6]، فتتحكم فكرة الطبقات بين المسلمين في ناحية الزواج على الأخص، فهم منقسمون لطوائف بينهم ما بين صديقى أو فاروقي أو عثمانى أو سيد نسبة إلى الخلفاء الأربعة أو الأنصار أو من الطبقة العليا من الأتراك والأفغان والمغول وغيرهم، وتتصاهر كل طبقة داخل نطاقها غالباً، ولا يصاهرون سواهم، إذ يعتبرونهم غير أكفاء لهم[7]، كما أدى نظام

---

(1) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند ، ص32،33.

(2) Xavier de Planhol, The World of Islam, New York, Second Printing, 1967,p.117.

(3) جمال الدين الرمادى: الإسلام فى المشارق والمغارب، ص42.

(4) البعثة الأزهرية إلى الهند: دراسة لأحوال الطوائف والهيئات الإسلامية بالهند، ص77.

(5) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ص160.

(6) جوستاف لوبون: حضارة الهند، ص658.

(7) عبد المنعم النمر: المرجع نفسه ، ص33.

الإقطاع الذى طبق في الهند الإسلامية وخاصة بعد تأسيس سلطنة دهلى –وإن وجد في الهند قبل الفتح الإسلامى لها– إلى اختلال توازن الحياة الاجتماعية، لوجود عدد ضخم من العبيد والإماء في حوزة الملوك والنبلاء، وغالباً كان يفشل الداخلون الجدد في الإسلام في نيل الدرجة الاجتماعية لهؤلاء النبلاء، وبالتالى نشأت في ظل هذا النظام الإقطاعى طبقة من الفقراء مستقلة، وعمد هؤلاء المسلمون الجدد إلى نقل عصبيتهم الجنسية لدينهم الجديد، ورغم ذلك لم يكن من المستطاع تجنب الخلافات في القدر الاجتماعى بين هؤلاء المسلمين الذين ينتمون إلى أجناس مختلفة[1].

ورغم العيوب الجمة لنظام الطبقات الهندوسى إلا أنه لا يخلو من مزايا، والتى من أهمها أنها حمت عامة الهندوس من الآثار المدمرة للحروب والفتن الداخلية التى شهدتها الهند عبر تاريخها الطويل، مما مكنهم من ممارسة حياتهم الاجتماعية والاقتصادية دون تأثر بسقوط دولة وقيام أخرى، كما تضمن هذا النظام حماية اليتامى والعجائز والأرامل[2].

وإن كان نظام الطبقات المتحجر السبب في انحطاط الهند قبل الفتح الإسلامى مما ساعد على نجاح الفتح الإسلامى، فالنظام الطبقى يجعل مسئولية النصر أو الهزيمة قاصرة على طائفة محدودة العدد ومتميزة عن بقية الشعب، فتصبح الحرب بالنسبة للشعب مسألة غير ذات أهمية[3]، فقد كان موقف الفلاح الهندى تجاه حكومة البلد ودين الحكام واحد وهو اللامبالاة التامة بشرط أن يسمح له بزراعة أرضه فى سلام بدون ظلم أو اضطهاد[4]، ومن النتائج الأخرى لنظام الطبقات المتحجر بالهند القضاء على ملكة الإبداع وجعل النظرة للحياة ضيقة، فقد كانت كل مهنة متوارثة مما قضى على روح التجديد رغم الميزة العظيمة لذلك من تطوير صناعات يدوية بارعة، بالإضافة إلى تحريم الزواج والاختلاط بين

---

(1) همايون كبير: المسلمون في الهند، ثقافة الهند، سبتمبر 1955، مج6، ع3، ص6.

(2) عبد الله حسين: المسألة الهندية، ص54.

(3) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص500.

(4) Powell Price, A History of India, Toronto and New York, First Published, 1955,p.151.

الطبقات، كل ذلك جعل الهند تشهد انحطاطاً فكرياً وسياسياً وحربياً[1]، وقد صور البيرونى ما وصل إليه الهنود في عصره من الانغلاق على أنفسهم والغفلة، وارجع ذلك لأسباب أهمها فتوحات محمود الغزنوى التى دمرت حضارتهم وجعلتهم في عزلة وتنافر عن المسلمين، وكذلك لانعزالهم عن مخالطة الأجانب بموجب ديانتهم، ويعيب عليهم اغترارهم بأنفسهم وبعلومهم، والضن بعلمهم على غير أهله[2]، وبذلك فقد أثر الفتح الإسلامى للهند من ناحيتين، ففى حين أن الإسلام شجع نزعة المجتمع الهندوكى وميله للانكماش والانطواء على نفسه أكثر فأكثر، ولكن من الناحية الأخرى أفعم بيئة الهند بهواء جديد، وحمل إليها أفكاراً جديدة، فكان له تأثير منعش -أما المجتمع الهندوكى في تلك الحقبة فقد تحول إلى نظام مغلق ضيق- وكذلك فإن المسلمين الذين قدموا إلى الهند حملوا معهم نظمهم الخاصة المختلفة عن المجتمع الهندى، ولم يتمكن أى من النظامين من ابتلاع الآخر أو إخضاعه، فقد كانت التقاليد والمعتقدات الهندية على مدى من الرسوخ والقوة بحيث قاومت التأثيرات الجديدة. وقد حمل المسلمون معهم رسالتهم القوية، فلم يكن من السهل امتصاصهم كما حدث للأمم التى غزت الهند سابقاً، ورغم ذلك فقد كانت الفلسفة الهندوكية القديمة على جانب عظيم من التسامح رغم انقسامها إلى طبقات مختلفة، وقد أخذ التنسيق يقوم تدريجياً بين الدينين على مدار فترة الحكم الإسلامى الطويلة للهند[3].

هذا عن الهندوس أما البوذيين في الهند، فقد قاموا بمحاولات للثورة على نظام الطبقات فى الهند ورغم اكتساب الثائرون أنصاراً كثيرين إلا أن جماعتهم أصبحت هى نفسها طبقة اجتماعية متحجرة[4] -وكان للبوذية أتباع قبل الفتح الإسلامى وخاصة في البنغال وبيهار، التى تضمنوا معاهد علمية عظيمة للبوذية[5]- ومن الجدير بالذكر أن البوذية التى بقيت في السند والهند اعترفت بالتقسيم الطبقى الذى كان في ذلك الوقت مدنياً أكثر منه دينياً، كما يلاحظ انتشارها أثناء الحكم العربى للبنجاب، ويبدو ذلك واضحاً ليس فقط في التصريحات

---

(1) نهرو: اكتشاف الهند، ص132،133.

(2) البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص20.

(3) همايون كبير: الهند فى ماضيها ومستقبلها، ثقافة الهند، يناير 1960، مج11،ع1، ص100،101.

(4) نهرو: اكتشاف الهند، ص106.

(5) Vidia Dahar Mahajan, Muslim Rule in India,p.15.

الدقيقة للمسافرين الصينيين وتلميحات الرحالة العرب التى وردت دون إشارات خاصة للاختلافات الواضحة بين البراهمة والبوذيين، فعندما يذكر الكهنة فعادة يطلقون عليهم "السمنيين"، وحقيقة الألف براهمى الذين سمح لهم بالاحتفاظ بدينهم سمح لهم محمد بن القاسم بأمر الخليفة أن يتسولوا خبزهم من باب إلى باب كل صباح وذلك طبقاً للطقوس المعروفة عند البوذيين، وكذلك تخليد الصور الشخصية وصنع التماثيل لعظمائهم. وفي زمن المسعودى أكد أن ملوك قنوج الواقعين أسفل الملتان كلهم لقبوا بوده، بوداه، باورا، ذلك بدون شك من العبادة التى سمع العرب أنها تسود في هذه العاصمة، ويذكر الإدريسى أن استعمال البود مرتبط بالبوذية سواء أطلق على رجل أو معبد أو تمثال[1]، كما نجد البلاذرى يلقب معبد الشمس في الملتان بالبود، كما يذكر مسالمة "السمنيين" في البيرون وسريبدس وسدوسا لمحمد بن القاسم، فقد كان البوذيون أكثر تعاوناً مع المسلمين وترحيباً بهم من الهندوس[2]، كما يذكر ابن حوقل عن مدينة قندابيل أنها "ممتار للبدهة[3]"، مما يدل على انتشار البوذية في وادى الأندوس قبيل وأثناء الحكم العربى للبنجاب، وقد أرجع ول ديورانت أحد أسباب نجاح الفتح الإسلامى في الهند إلى البوذية التى كانت تحث على الزهد والفناء وعدم الزواج، مما أدى إلى ضعف النسل وانقراض الأسر، بالإضافة إلى عوامل الانقسام الدينى والسياسى في الهند[4].

معاملة المسلمين للهندوس:

عامل المسلمون الهندوس كأهل ذمة، ولهذا أخذوا منهم الجزية مقابل التمتع بالحرية والحماية في ظل الحكم الإسلامى[5]، وتساوى في ذلك الهندوس والبوذيون، فعندما فتح

---

(1) Elliot& Dowson, The History of India as told by its own Historians, part 1, Pp.505:507.

(2) البلاذرى : فتوح البلدان، ص454،457.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض ص326.

(4) ديورانت, ول: قصة الحضارة: الهند وجيرانها، مج1، ج3، ص199.

(5) Majumdar, An Advanced History of India, Part 2, p.145.

محمد بن القاسم الرور في السند فتحها صلحاً على أن لا يقاتلهم ولا يعرض لبدهم،"وقال: ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس[1]".

وبذلك أعطى محمد بن القاسم الهندوس حرية العبادة التى كان يعطيها العرب الفاتحين دائماً باستثناء من يقاومهم مقاومة عنيفة، فعندما طلب الهندوس من محمد بن القاسم السماح لهم بحرية العبادة، أحال بن القاسم طلبهم إلى الحجاج الذى أصدر تصريحاً بإعطاء الهندوس حرية العبادة "وألا يمنع أحداً دون اتباع ديانته، وان يعيشوا في منازلهم بالطريقة التى يحبونها"، ويسمح لهم "بناء المعابد والتجارة مع المسلمين، الحياة بدون أى خوف والكفاح لإعلاء أنفسهم بكل الطرق الممكنة"، وأبقى على أراضى الناس ونظمهم، ولم ينتهك معابدهم، وقد سار على هذه السياسة من تبعه من الحكام العرب للسند[2]، ولمراعاة مشاعر الهندوس اتخذ قراراً بعد الفتح العربى للسند بمنع ذبح البقر[3]، وكان لسياسة التسامح هذه فائدة مالية لبيت المال الإسلامى، فقد كانت رسوم الحجاج التى تدفع للمعابد تشكل مصدراً هاماً للدخل الحكومى، ورغم اعتراض فريق من المسلمين على ذلك لإنه يقابل المال بالموافقة على الوثنية. وسمح للوطنيين بجمع الضرائب بأنفسهم، واحتفظ البراهمة بوظائفهم، وعهد إليهم بكبار المناصب، وقد كانت تعليمات الحاكم المسلم لكل الموظفين أن يتصرفوا بأمانة، وأن يأخذوا الضرائب حسب دخل الناس وقدرتهم على الدفع، وأن لا يتشاحنوا فيما بينهم حتى لا تضطرب البلد[4].

وبذلك فبعد الفتح العربى للسند أعطى محمد بن القاسم الحرية التى يعرضها العرب دائماً، وأبقى على حياة الناس وممتلكاتهم، وترك لهم حرية العبادة، وفرض عليهم في المقابل ضريبة الرأس "الجزية"، وعاملهم معاملة أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس[5].

---

(1) البلاذرى: المصدر نفسه، ص455.

(2) Sisir Kumar Mitra, India ,Bombay,1972,p.199,200.

(3) عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان، ص176.

(4) Stanley Lane Poole,Medaeval India under Mohammed Rule,p.10,11.

(5) Stanley Lane Poole,OP.Cit.,p.10.

وقد ذكر أبو يوسف في كتابه "الخراج" أن الجزية واجبة على جميع أهل الذمة، وتجب على الرجال دون النساء والصبيان، ولا تؤخذ من المسكين أو الأعمى أو المقعد، وتفرض على الرهبان الأغنياء ولا تفرض على الفقراء منهم[1].

وظل الحال كذلك في ظل الحكم العربى للسند، إلا أنه في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى عندما زار المقدسى السند (375هـ/983م) ذكر "وأما عبدة الأصنام بالسند فليسوا بذمة ألا ترى أنهم لا يؤدون الجزية[2]"، فيبدو أن لضعف الدويلات العربية في السند لم يجبوا الجزية من الهندوس.

وفرض الغزنويون جزية كبيرة على أعدائهم مقابل الصلح أو فك الأسر، كما فرضوا على البلاد المفتوحة خراجاً يحمل إليهم كل عام[3]، من أمثلة ذلك أن سبكتكين فرض على جيبال ملك الهند ألف ألف درهم شاهية وخمسين فيلاً[4]، وعندما هزم السلطان محمود جيبال وأسره وخمسة عشر من أبنائه وأقاربه سنة 392هـ/1001م، أعطى الأمان لجيبال وبقية الأسرى بعد أن وافقوا على دفع الجزية والخراج وعفى عنهم[5] مقابل فدية كبيرة دفعها جيبال[6]، كما صالح السلطان محمود الملك بيدا صاحب قلعة كواكير سنة 396هـ/1005م على أن يدفع جزية قدرها خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منافضة[7]، وقد عقد الصلح مع أبى الفتوح الذى تعهد بإرسال جزية عشرين ألف درهم أحمر كل عام[8]، وصالح ملك قلعة نارين سنة 400هـ /1009م على مال يؤديه وخمسين فيلاً وأن يكون فى خدمته ألفا

---

(1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: الخراج، طبعة بولاق، 1302هـ، ص122.

(2) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص32.

(3) محمدعبد الحميد الرفاعى: الدولة الغزنوية، ص260.

(4) محمد قاسم هندوشاه: تاريخ فرشته، ص20.

(5) محمد قاسم هندوشاه: المصدر نفسه، ص24.

(6) ابن الأثير: الكامل، مج8، ص20.

(7) ابن الأثير: المصدر نفسه ، مج8، ص35.

(8) محمد قاسم هندوشاه: المصدر نفسه ، ص25.

فارس[1]، وفي سنة 414هـ/1023م أعطى الأمان لأحد ملوك الهند وأقره على ملكه على أن يؤدى الخراج والجزية[2]، وصار الغوريون على نهجهم فترك شهاب الدين أجمير بعد فتحها لكوله ابن بتوراى وصالحه على الخراج والجزية[3].

ورحبت قبائل الجات والميد وغيرها من القبائل السندية التى كانت تعانى من ظلم الحكام الهنود بالفاتحين العرب، بل وتعاونوا معهم في الفتح، ودخلوا في الجيش مع محمد بن القاسم وشاركوا في الفتوحات الإسلامية للسند[4]، فيذكر البلاذرى أن محمد بن القاسم عندما انصرف بعد فتح سدوسا صار معه أربعة آلاف من الزط[5]، وقد مهد انضمام الزط إلى جيش الإسلام دخولهم فى الإسلام على أثر معايشتهم للمسلمين وللتخلص من الجزية، والارتقاء بوضعهم السيئ في المجتمع الطبقى الهندى إلى المساواة في المجتمع المسلم مع الإتاحة للترقى في المجتمع، وقد استطاع هؤلاء الجنود السنديين أن يحصلوا على مكانة سياسية كبيرة في بلدهم مع ظهور الدول المستقلة العربية في السند واعتمادهم عليهم فى الجيش، كما اشتركوا فى جيوش الخلافة وحاربوا باسمها[6].

وسكنت الجزيرة العربية جاليات مختلفة من الهنود والسنود منذ عهد الرسول (ﷺ)، فقد سكنها الزط والميد والسيابجة والأساورة والأحامرة والتكاكرة، وكانت تدعى بأسماء مختلفة حسب الأعمال التى زاولتها، والزط (الجات) هم جالية هندية من السود المحاربين الذين اشتهروا بالشجاعة، وكانت تمتد من ضواحى المنطقة من المنصورة إلى مكران، ومسكنهم الأصلى بلوخستان والبنجاب، والميد جالية هندية ساحلية تعمل بالقرصنة في البحر، مساكنها تمتد من حوض السند إلى منطقة اوتكين -إحدى تخوم الهند- ومن المناطق

---

(1) ابن الأثير: المصدر نفسه ، مج8، ص55.

(2) ابن الأثير: المصدر نفسه ، مج8، ص141.

(3) محمد قاسم هندوشاه: المصدر نفسه ، ص58.

(4) Stanley Lane Poole, OP.Cit ,p.10.

(5) البلاذرى: فتوح البلدان، ص454.

(6) رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام في بلاد السند وباكستان، ص155،156.

الساحلية الواقعة على حوض نهر السند إلى ملتان[1]، كما وجدت لهم أوكاراً في سواحل الكَجرات وكوكن، وقد أخضعهم المسلمون، ومنهم من هاجر إلى بلاد العرب وسكنوا السواحل. والسيابجة جالية هندية سكنت السند وسواحل الهند، والأحامرة سكنوا سواحل السند والهند، كانوا يسافرون إلى بلاد العرب ويقومون بحراسة السفن التجارية، كما كانوا يشتركون في الحروب ضد قراصنة البحر، أما الأساورة فهم ضباط فرقة السوارى في الجيش الفارسى، كانوا يقيمون ببلاد العرب، وأوطانهم كانت تمتد من سواحل السند إلى سرانديب، والتكاترة هم شجعان السند الذين وقفوا ضد الفاتحين العرب، وقد كان لرحيل هذه الأجناس الهندية إلى جزيرة العرب دوافع مختلفة[2]، وكان من الأساورة ضباط في الجيش الفارسى، فكان سياه الأساورى على مقدمة جيش يزدجرد، فلما بعث به إلى الأهواز كان أبو موسى الأشعرى يفتح السوس، فرأى ظهور الإسلام وعزته أرسل إلى أبى موسى يعرض إسلام الأساورة على أن يحاربوا معهم أعداء المسلمين، ويقفوا على الحياد في الخلافات الداخلية للعرب، وإذا قاتلهم العرب منعوهم منهم، وينزلوا ما شاءوا من البلدان ويحالفوا من شاءوا، ويفرض لهم في العطاء، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر الذى وافق على جميع شروطهم، واستقروا بالبصرة، وانضم إليهم السيابجة الذين كانوا يسكنون السواحل قبل الإسلام، وكذلك الزط وكانوا بالطفوف يعملون بالرعى، وقد كان السيابجة والزط والاندغار في جند الفرس الذين سبوهم من السند، فلما سمعوا من أمر الأساورة انضموا إليهم، وأتوا أبو موسى فأنزلهم البصرة، وعندما اجتمعت الأساورة والسيابجة والزط حالفوا بنو تيم، فصارت الأساورة في بنى سعد، والزط والسيابجة في بنى حنظلة، وقاتلوا معهم المشركين[3].

---

(1) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص104.

(2) أطهر المباركبورى: من النارجيل إلى النخيل، ص98،99،101:103.

(3) البلاذرى: فتوح البلدان، ص391،392، 394.

وسكن الزط السواحل الممتدة من البصرة إلى عمان والبحرين، وعملوا بتربية المواشى، ومنهم من استوطن المدن[1]، كما سكنوا مكة والمدينة في عهد الرسول (ﷺ)، وكان مركزهم الأساسى البحرين، فقد سكنها عدد كبير منهم قبل الإسلام، فقد كان الهنود عادة يبحرون من الموانئ الهندية الغربية حيث يدخلون الخليج العربى، ويرسون في البحرين، وقد عثر على عدة أختام ونماذج تشير إلى الحضارة الهندية[2]، واشتركوا فى حرب الردة سنة 11ه بسبب تحريض حطم بن ضبيعة لهم، وبعد هزيمتهم من المسلمين فر كثيراً منهم راجعاً إلى الهند، و أثروا بعاداتهم وتقاليدهم في الحياة العربية[3]، وقد نقل معاوية من الزط والسيابجة إلى سواحل الشام وأنطاكية، كما نقل الوليد بن عبد الملك قوم من الزط إلى أنطاكية ونواحيها ليعمروها. واستقدم الحجاج قوم من الزط وغيرهم وعمر بهم المنطقة الصخرية في مدينة كسكر على ساحل دجلة، وقد تحولوا بعد فترة إلى قطاع للطرق، وحاربهم المعتصم وقمع طغيانهم وأجلاهم عن بلدهم، فأسكن بعضهم خانقين وآخرين عين زربة والثغور بالشام[4].

وانتقل كثير من علماء السند والهند إلى بغداد في العصر العباسى للمساهمة في العلوم العقلية. بالإضافة إلى إقبال الموالى السند على العلوم الدينية والأدبية ونبوغ كثير منهم بها[5] وقد تم ذكر أمثلة كثيرة منهم فى الفصل الرابع.

الأعياد فى الهند :

أهم أعياد المسلمين عيد الفطر وعيد الأضحى اللذين يحتفل بهما في الهند بحماسة فائقة، وتبدأ الاحتفالات برؤية هلال رمضان، وتفوق دلهى سائر العواصم فى الاحتفال بشهر رمضان فهى مركز الثقافة الإسلامية فى البلاد، وعند مغرب كل يوم تقرع الطبول عالياً لتعلن

---

(1) أطهر المباركبورى: المرجع نفسه، ص103.

(2) تاراتشند: العلاقات الهندية العربية قوية منذ فجر التاريخ، ثقافة الهند، يناير1965، مج16، ع1، ص12،13.

(3) أطهر المباركبورى: من النارجيل إلى النخيل، ص110: 113.

(4) البلاذرى: فتوح البلدان، ص394،395.

(5) جميل أحمد: سير حركة التأليف فى الإقليم الشمالى الهندى، ص5،6.

ميعاد الإفطار، وفي اليوم التاسع والعشرين أو الثلاثين من رمضان تعلن رؤية هلال شوال الجديد ويحتفل بعيد الفطر، ويرتدى المسلمون خير ما عندهم من الملابس وينهلون من مباهج العيد. ويشارك الهندوس المسلمين في الاحتفال بالعيد، ويتبادلون التهانى. ويحتفل بعيد الأضحى في العاشر من ذى الحجة، وتذبح في الهند الجداء والخراف بكثرة في أنحاء البلاد(1).

ويحدثنا ابن فضل الله العمرى عن الاحتفال برمضان في الهند، ففي صباح أول رمضان يركب الأمراء مرتدين الثياب الفاخرة ومتقلدين سيوفهم إلى قصر السلطان، وبين أيديهم العسكر ركباناً ومشاة شاكين السلاح، فيشرع السلطان في الخروج وحوله خاصته وحاشيته، ويسير الموكب السلطانى في شوارع دهلى، وخلفه الطبول والصنوج حتى يصل إلى المسجد الكبير بالحضرة، وهناك يأمر بتوزيع الهدايا العظيمة على الأمراء وكبار رجال الدولة فضلاً عن خطيب المسجد والمؤذنين(2).

كما يعظم المسلمون أياماً أخرى ويحتفلون بها، فيحتفل المسلمون في اليوم الأول من محرم، لأنه غرة العام ورأس السنة، وكان الصحابة يصومون العشرة الأول من محرم كفريضة وعندما صاموا رمضان عظموا عاشوراء وهو اليوم العاشر من محرم، وقد أتفق أن قُتل فيه الحسين بن على بن أبى طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأصبح يوم حزن عند الشيعة يبكون وينوحون فيه، أما سائر المسلمون من أهل السنة فيلبسون الجديد ويتزينوا، ويعيدوا ويصنعوا الحلوى، وقد جرى الرسم على ذلك منذ عهد بنى أمية(3).

وشارك الهندوس المسلمين أعيادهم في أماكن عديدة بالهند حيث يوجد احتكاك بين المجتمعين الهندى والإسلامى، فإن الطبقات الدنيا من الهندوس يشاركوا المسلمين احتفالهم بأعيادهم، وخاصة احتفالات الأول من محرم " رأس السنة الهجرية(4)".

---

(1) بطرس روفائيل: المسلمون في الهند، نقله إلى العربية بتكليف من مكتب الصحافة والنشر بسفارة الهند بالقاهرة ، 1952، ص45،49.

(2) محمود عرفة محمود: النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق، ص71.

(3) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص329. الكرديزى: زين الأخبار، ص349.

(4)W.Ivanow Satpanth, Collectanea,Vol.1.,Brill,Leiden,1984,p.2.

كما يحتفل المسلمون بتحويل القبلة إلى بيت المقدس فى اليوم السادس عشر من محرم، وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في السادس عشر من شعبان، وبالهجرة النبوية إلى المدينة فى ربيع الأول، وبولادة الرسول (ﷺ) يوم الإثنين في ربيع الأول فى عام الفيل، وبليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من رجب، وبانتصار المسلمون في غزوة بدر، وبفتح مكة، ويوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذى الحجة، وهو يوم الحج الأكبر بعرفات، ويسمى بذلك لتعارف الناس فيه وقت مجتمعهم لقضاء مناسكهم ويسمى أيضاً يوم العفو[1].

ويصف ابن بطوطة الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالهند، إذ يحتفل بها بإضاءة جميع المساجد بعد غروب الشمس، ويخرج الناس إلى المسجد الكبير الذى كان يبدو في أبهى صورة، ويعقد في صحنه مجلساً حافلاً من المشايخ والمفتين برئاسة قاضى القضاة[2].

ومن أهم احتفالات المسلمين في الهند المولد السنوى في مزار خواجا معين الدين الجشتى فى أجمير، إذ يعتبر نقيب الأولياء المسلمين في الهند، وهو من أماكن الحج التى يقصدها المسلمون والهندوس على السواء، وخواجا معين الدين أخذ الطريقة من خواجا عثمان هارون أشهر فقراء الطائفة الجشتية، وتتلمذ عليه عشرون عاماً حتى صار خليفته، ثم زار العراق وإيران والشام وأفغانستان، وأخيراً استقر في أجمير فى الهند إلى آخر حياته، وتوافد عليه الأتباع والمريدون طوال الأعوام الأربعة والأربعين التى أقامها الشيخ فيها، وكان له دور كبير في انتشار الإسلام بين الهندوس، وفي خلال حكم سلاطين الخلج أقيم بناء ثابت تعلوه قبة صغيرة فوق قبره، وفي سنة965هـ/ 1557م زار السلطان أكبر ضريحه في أجمير وأوقف عليه الأراضى والأملاك، وبنت الأميرة جاهان آرا الابنة المعروفة لشاه جيهان المدخل الرئيسى للضريح[3].

وكما شارك الهندوس المسلمين أعيادهم، شارك المسلمون الهندوس أعيادهم[4]، فقد لعب معظم الحرفيين والعمال مثل النجار والحداد والحلاق وغيرهم دوراً في الاحتفالات

---

(1) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص330،334. الكرديزى: زين الأخبار، ص345:347.

(2) محمود عرفة محمود: النظم السياسية والاجتماعية بالهند فى عهد بنى تغلق، ص72.

(3) بطرس روفائيل: المسلمون فى الهند، ص49:51.

(4) بطرس روفائيل: المرجع نفسه، ص42.

الدينية، والتى كانوا يحصلون فيها على جوائز خاصة، على الرغم من كون بعضهم مسلمين إلا إنهم أدوا نفس الخدمات في الأعياد مثل غيرهم من الحرفيين الهندوس، وكوفئوا بنفس الطريقة، فعلى سبيل المثال كان كثير من"الماليس" مسلمين، كانوا يجلبون الزهور لجميع الأعمال الدينية والعبادة اليومية للهندوس[1]، وترتبط الأعياد في الهند بالمواسم المناسبة، فكان يحتفل في الهند في القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين في ختام الربيع بزيادة السرور والابتهاج[2]، وهو عيد عظيم للهند بمنزلة المهرجان للفرس يتهادون فيه كل مال جليل وجوهر رفيع، ويجتمعون في معابدهم على منتصف النهار، ثم يخرجون إلى متنزهاتهم، ويجتمعون في مجالسهم، ويتواضعون لله عز وجل[3]، كما يحتفلون في الحادى عشر من شهر تشيت، فتطلب النساء الهدايا من الرجال، ويستعملن أحسن اللباس وأثمنها، ويقعدن عن العمل في هذا الموسم زهاء خمسة عشر يوماً. ويحتفلون بموسم أسونى في شهر تشيت بالحصاد، وقد وصف المؤرخ المعروف لكشمى دهر احتفالهم "فالناس يجتمعون في صعيد، ثم يقوم رجل من بين أيديهم ويأخذ المعزف ويعمل به عمله، فالناس كلهم يقومون مع سماع هذا الصوت، ويتغنون ثم يرقصون مع النغمات، وتبقى هذه الحفلة على تلك الهيئة مدة غير يسيرة...". ويحتفل بعيد الأنوار القديم حتى الآن في الليالى المظلمة في شهر كارتك الذى يوافق شهر كانون الأول، ويصف راجه بهوج تفاصيل هذا العيد في كتابه مارتند فيقول: "إن الناس لا يطعمون الطعام صباح هذا العيد، ويعبد تمثال لكشمى ديوى في أقاصى الهند وأدناها وقراها وميادينها، ويحتفل هذا التقريب خاصة بوفرة الضياء وزيادة النور، فحواضر الهند وبواديها وكل بيت ودكان والطريق ومحل الاستراحة، كل ذلك تتنور بالضياء وتشرق أرض الهند بنور السرج[4]"، وكانت هناك أعياد للنساء مثل عيد "بهند"، و"كوتر"،"روب بنجه"،"أوداد"،"هربالى" وغيرهم وفيهم يغتسلن ويتزين ويتصدقن. وعيد "سانب يرزاتر"

---

[1] Lilavti Munshi and Others, Indian Inheritance,Vol.2,Arts, History and Culture, Bombay,1956, p.139.

[2] مجهول: الهند، ثقافة الهند، يوليو 1963، مج1،ع3، ص40.

[3] البيرونى:الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص276.

[4] مجهول: الهند، ص40،41.

بالملتان الذى يتعبدون فيه للشمس ويسجدون لها. وغيرها كثير مما أورده البيرونى في مؤلفه[1].

وضع المرأة في الهند فى ظل الحكم الإسلامى :

حرمت المرأة كثير من حقوقها في الهند قبل الفتح الإسلامى ، فقد ورد في كتاب "منو دهرما ساسترا". وهذا الكتاب يحتوى على الشرائع التى تتبعها سائر الطوائف الهندية. " تعيش المرأة ولا خيار لها، سواء كانت بنتاً صغيرة أو شابة أو عجوزا. البنت في خيار أبيها، والمتزوجة فب خيار بعلها، والأرملة في خيار أبنائها، وليس لها أن تستقل أبداً" ، وليس للمرأة إلا أن تشغل نفسها بأمور بيتها، وليس لها حق اختيار زوجها، بل ترضى بما ارتضاه والدها لها بعلاً، وإن مات زوجها فعليها أن تهجر ملذات الحياة، وتعيش أرملة إلى آخر عمرها. وقد سدت أبواب العلم في وجهها، فلا يجوز لها أن تدرس كتب ويدا. إلا أن تشريع مانو قد حث على احترام المرأة "الأسرة التى تحترم المرأة فإن الآلهة تخصها بعطفها، وأما الأسرة التى تحتقر فيها المرأة تذهب حسناتها سدى[2]"، ولا تقبل شهادة المرأة في القضاء "لأن عقولهن لا توازن لها"، كما تبعد المرأة عن مشاورة الملك لنقص عقلها ولأنها لا تحفظ السر[3].

وكانت عادة الساتى[4] منتشرة في الهند وخاصة بين الطبقات العليا، وكانت مثلاً أعلى لكل امرأة هندية وفية لزوجها، وقد حاولت الحكومة الإسلامية الحد من هذه العادة، فطبقاً لابن بطوطة كانت الإجازة الحكومية ضرورية في كل حالة ساتى[5]، كما أكد ذلك الرحالة الشهير دكتور برنير الذى زار الهند في عهد شاهجهان "لقد هبط عدد حوادث ساتى نسبياً

---

(1) البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة، ص450: 446.

(2) منو دهرما ساسترا: الفقه الهندوسى الأكبر، ثقافة الهند، سبتمبر 1952،مج3،ع2، ص96،79،80، 60،61.

(3) منو دهرما ساسترا: المرجع نفسه، ص100،103.

(4) الساتى هو أن تحرق المرأة نفسها مع جثة زوجها المتوفى وفاءاً له.

(5) Nilakanta Sastri , Advanced History of India,p.378.

لأن المسلمين الذين يحكمون البلاد يبذلون أقصى جهدهم للقضاء على هذا التقليد الوحشى، ولو أنهم لم يسنوا أى قانون لمنع هذه الحادثة من الوقوع، لأنهم لا يهدفون من نظام حكمهم إلى التدخل في شئون الهنادكة الدينية بل إنهم يسمحون لهم بالقيام بأداء واجباتهم الدينية وطقوسهم ويوفرون لهم كل حرية"، ومن هذه الطرق الغير مباشرة التى يذكرها ضرورة الحصول على إذن من حاكم المقاطعة لكل حالة ساتى، ويحاول الحاكم بشتى الطرق إقناعها للعدول عن عزمها، فإذا فشل أرسلها إلى حريمه ليحاولن إقناعها، ورغم ذلك كانت حوادث الساتى تحدث بكثرة، وإن كان أغلبها فى المناطق الغير خاضعة للحكم الإسلامى[1].

وقد رفع الإسلام من شأن المرأة الهندية، فكما رأينا أنها قبل الإسلام كانت النظرة إليها على أنها خادمة الأسرة لا غير، محرومة من كثير من الحقوق والحريات، فأدخل الإسلام في المجتمع الهندى قيماً جديدة في هذا الصدد[2]، فرفع الإسلام المرأة لمكانة عالية، وساوى بينها وبين الرجل في التكاليف الشرعية وفي الثواب والعقاب، وأعطى لها حقاً في الميراث ، كما لها أن تستقل بملكيتها الخاصة، وتنمى ثروتها دون تدخل الزوج، مع وجوب إنفاق الزوج عليها، ولها حق اختيار الزوج، وطلب الطلاق إن استحالت العشرة، وكان للمرأة المسلمة الحق في التعلم، ومن النساء من بلغن درجة عالية من العلم[3]، وقد ذكر ابن بطوطة عن مدينة هنور وسائر بلاد المليبار أن نسائها يحفظن جميعاً القرآن الكريم وهن ذوات عفة وتقوى وجمال، كما ذكر وجود ثلاثة عشر مكتباً لتعليم البنات بالمدينة، بجوار ثلاثة وعشرون لتعليم البنين، وهو عدد يتجاوز النصف مما يدل على الاهتمام بتعليم البنات في الهند في العصر الإسلامى[4].

---

(1) محمد أكرم الندوى: التبادل الثقافى بين الهند والعرب، ثقافة الهند، 1990، مج41، ع1، ص167.

(2) طلعت محمد أبو فرحة: أضواء على الدور الحضارى لباكستان حتى القرن التاسع الهجرى،مجلة اللغات والترجمة جامعة الأزهر،ع13، 1406هـ.1986م، ص201.

(3) عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى،ط1، دار الفكر العربى،1997، ص148.

(4) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص106.

وكان غالبية الحكام المسلمين الذين حكموا الهند بعد الفتح الغزنوى من الأتراك، فحملوا للبلاد التقاليد البدوية لأسلافهم الذين قضوا حياتهم في الظعن والترحال، وفي هذه الحياة لا يمكن المواظبة على عزل المرأة عن المجتمع، فتمتعت المرأة التركية بشيء من الحرية التى قلما توجد فى الشعوب الأخرى، وشاركت الرجل فى سائر المجالات السلمية والحربية، فأحسنت الظعن والفروسية وكان لها نفوذ كبير في البلاط، حتى استشارها الحكام في الأمور الهامة، كما وصلت المرأة المسلمة إلى الحكم، ومن أشهر من تولى عرش سلطنة دهلى السلطانة رضية بنت ألتمش التى كانت من العالمات في أمور الدين وعدة علوم أخرى بالإضافة لتحليها بجميع الصفات الأساسية اللازمة لأى ملك، وقد حكمت الهند بكفاءة حتى وفاتها(634: 638هـ/1236م:1240م) [1]، كما ذكر ابن بطوطة عندما زار جزائر المهل أن حاكمتها في وقته كانت السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين البنجالى[2].

وقد وجد لدى الهنود مبادئ الفرسان الآريين من الشهامة والدفاع عن المرأة[3]، وأعجب المسلمون بالمثل العليا للفتوة الهندوكية، وما تضمره المرأة الهندية لزوجها من ولاء وحب، فنشأ في الهند الإسلامية نظام للفتوة يتضمن أحسن نواحى الثقافتين الهندية والإسلامية[4].

وكانت عملية التزاوج بين المسلمين والهندوس مستمرة، ويكاد يكون التزاوج بين العرب وأهل السند مقصوراً على الطبقات المنبوذة لأن الطبقات الممتازة عاشت منطوية على نفسها متمتعة بحريتها الدينية، وكان الاختلاط أغلبه بعناصر الجات، وقد أعجب العرب بحسن نساء الجات وجمالهن فأقبلوا على التزاوج منهن، حتى نسب إلى بعض الشعراء العرب

---

[1] محمود الحسن الندوى: النساء المسلمات الشهيرات فى الهند، ثقافة الهند، يناير1966،مج17،ع1، ص30.

[2] ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج2، ص122.

[3] عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربى، (د. ت)، ص492.

[4] محمود الحسن الندوى: المرجع نفسه، ص31.

رجزاً مشهوراً مطلعه: علقت خودا من بنات الزط[1]، وتزوجت المرأة الهندية غالباً من مسلمين من الطبقة العليا، وهنود أسلموا منتميين لطبقة النبلاء المسلمين[2]، فتزوج محمد بن القاسم من إحدى زوجات داهر[3]، وظلت ذريته في السند يتولون المناصب الإدارية الكبيرة، فقد كان الحكم بن عوانة الكلبى الوالى الأموى على السند يفوض لعمرو بن محمد بن القاسم جسيم الأمور، وقد أوكل إليه بناء مدينة المنصورة التى أصبحت مقراً للحكم الإسلامى فى السند[4]، وتزوج الفاتحون العرب من السنديات، فلم يكن باستطاعتهم أن يصطحبوا عائلاتهم معهم لبعد البلد وعدم توفر الأمان، ومع فترة بقائهم الطويلة تزوجوا من السنديات، ومنهم من استقر في السند وتوارثت سلالتهم أراضيهم وممتلكاتهم[5]، كما تزوج الولاة الذين تولوا على السند أو تسروا بجوارى سنديات وهنديات، مثل طلة الهندية البغدادية التى كانت جارية روح بن حاتم المهلبى والى السند في عهد الخليفة المهدى العباسى (159: 161هـ/775: 777م) [6].

وتزوج شهاب الدين الغورى من إحدى الأميرات الهنديات، فقد ذكر ابن الأثير تحالفه مع زوجة صاحب أجره التي قتلت زوجها وزوجته ابنتها التي أسلمت، وحملها معه إلى غزنة، ووكل من يعلمها الإسلام، وعندما توفت بني لها مشهداً، كان أهل غزنة يزوره[7].

كما تزوج التجار العرب الذين استقروا في السواحل الغربية للهند من النساء الهنديات وظهرت أجيال تحمل صفات مشتركة للطرفين[8]، وقد كانت عملية التزاوج بين المسلمين والهنود أحد عوامل انتشار الإسلام في الهند.

---

(1) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى، ص219.
- Ishtiaq Husain Qureshi , The Administration of The Delhi Sultanate,p.23.
(2) Nilakanta Sastri , Advanced History of India,p.377.
(3) Powell Price, A History of India,p.100.
(4) البلاذرى: فتوح البلدان، ص460.
(5)Eliot& Dowson; The History of India as told by its own Historians,Part 1,p.464.
(6) أظهر المباركبورى: رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجرى، ط1، القاهرة، دار الأنصار،1398هـ، ص 160.
(7) ابن الأثير:الكامل،مج9، ص380،381.
(8) سامية مصطفى مسعد: دور سلاطين غزنة في نشر الإسلام فى الهند، ص143.

وتميزت الجوارى الهنديات برخص أسعارهن لكثرة الفتوحات الغزنوية، فقد ذكر فرشته أن السلطان محمود الغزنوى عاد عام 402هـ/1011م من غزوة تانيسر ومعه كثير من الجوارى والغلمان حتى قيل " أنهم كانوا يعتبرون غزنين في ذلك العام إحدى بلاد الهند لأن كل فرد من أفراد جيش السلطان كان قد امتلك عدة جوارى وغلمان[1]"، ومع هذا الرخص في أسعارهن إلا أن من الجوارى الهنديات من وصل ثمنها إلى مبالغ عالية، وذلك لحسن خلقها ولطف خلائقها، ولأن غالبهن يحفظن القرآن ويكتبن الخط ويروين الأشعار والأخبار ويجدن الغناء وضرب العود ويلعبن بالشطرنج والنرد، ومثل هؤلاء الجوارى يتفاخرن بذلك ويتنافسن لنيل الحظوة لدى سادتهن بمهارتهن. كما أجمع كثير من المؤرخين أن ملامح الهنديات أكثر حسناً من الترك والقبجاق مع ما يتميزن به من المواهب الجمة، وغالبهن ذهبيات الألوان، وفيهن بيض ذوات بياض ساطع مختلطاً بحمرة، فهن مفضلات لحسنهن وحلاوتهن[2]، وقد امتدح كثير من الرحالة حسن نساء الهند وخاصة في مناطق معينة بها، فيذكر المسعودى عن نساء مملكة الطافى "وليس في نساء الهند أحسن من نسائهم، ولا أكثر منهن جمالاً وبياضاً، وهن موصوفات الخلوات مذكورات في كتب الباه، وأهل البحر يتنافسون في شرائهن ويعرفن بالطافيات[3]"، وامتدح ياقوت الحموى حسن نساء كشمير فهن "أحسن خلق الله خلقة يُضرب بنسائهم المثل"، وتباع الجارية منهن بمائتى دينار وأكثر[4]، كما يمتدح القزوينى جمال نساء صيمور، لأنهم مولدون من الترك والهنود[5].

وبالتأكيد فقد أسلمت غالبية الجوارى اللاتى جلبن للعالم الإسلامى.وقد وصلت بعض الجوارى السنديات إلى درجة عالية لتزوجهن من القادة والأمراء، ومنهن "جلبة" جارية يزيد ين عبد الملك السندية والتى زوجها إلى عمر بن هبيرة الفزارى، وأنجبت له يزيد بن عمر

---

(1) محمد قاسم هندوشاه: تاريخ فرشته، ص28.

(2) خورشيد احمد فاروق: ضوء جديد على تاريخ الهند، ثقافة الهند أكتوبر 1960،مج11،ع4، ص113.

(3) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص82 .

(4) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج4، ص352.

(5) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د. ت)، ص97.

الذى تولى إمارة العراق في عهد يزيد بن عبد الملك، وقد كانت الجوارى الهنديات يستجلبن للخدمة وتربية الأطفال. وزاد تدفق الجوارى الهنديات في العصر العباسى من جنوب الهند والكَجرات، وامتلأت بهن قصور الخلفاء والأمراء حيث عملن مغنيات ومربيات وغير ذلك، ومن أشهرهن خُمَار القندهارية التى اشترتها خديجة بنت هارون بن عبد الله الربيع بمائتى ألف درهم، وكانت أشهر المغنيات الهنديات، وكانت ذات ثقافة عربية عالية، فقد كانت تغنى شعراً عربياً دقيق المعانى[1].

وظهر من الجوارى الهنديات من تفوقن في العلم، مثل شيرين بنت عبد الله الندية، جارية ابن البنديجى، سمعت من عبد المنعم بن كليب وسمع منها بعض العلماء مثل أبو الفتح، ومر بن الحاجب الأمينى، وقد ورد أنها شيخة الأبرقوهى، توفيت سنة 640هـ /1242م[2].

وفي محاولة من الهندوسية لاستعادة الذين اعتنقوا الإسلام وخاصة من الجوارى اللاتى أسرن أثناء الفتوحات الإسلامية واعتنقن دين ساداتهن، احتوى كتاب "ديغالا" فى القانون، الذى كتب فى السند بعد الفتح الإسلامى لتلك البلاد. على قاعدة صريحة وهى أن المرأة التى تخطف قسراً تظل طاهرة وحتى لو أصبحت حاملاً فإنها تستعيد مكانتها الأولى بعد الولادة، أى عندما تبعث مرة أخرى طبقاً لعقيدتهم فى التناسخ[3].

و كانت المرأة في الهند في العصر الإسلامى موضع تبجيل واحترام، وكانت تعامل بكثير من الرفق والعناية، ولذلك فرض الحجاب عليها صوناً واحتراماً لها، فالمرأة بالنسبة للمسلمين أمانة مقدسة، وهى "الحريم" أو "الحرم" التى يجب الحفاظ عليها من ذوى القلوب المريضة[4]، وقد عرفت الهند قبل الفتح الإسلامى نوعاً من الفصل بين الجنسين في الأوساط

---

(1) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، الدار العربية للكتاب،1985، ص31.

(2) أطهر المباركبورى: رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجرى، ص147.

(3) ك.ا . نيلاكانتا شاسترى: صلات الهند ببلاد الغرب فى العصور الوسطى، ترجمة إبراهيم شكر الله، مجلة ديوجين مصباح الفكر، مطبوعات اليونسكو، نوفمبر 1966،ص83 .

(4) محمود الحسن الندوى: النساء المسلمات الشهيرات في الهند، ص28.

الأرستقراطية، كما في كثير من البلدان الأخرى، وخاصة في بلاد الإغريق، وفي إيران القديمة، وإلى حد ما في جميع أجزاء آسيا الغربية، ولكن لم يكن هناك عزل صارم للنساء في أى مكان. وحتى في فترة الحكم الغزنوى والغورى للبلاد لم يكن هناك حجاب صارم. فكثيراً ما كانت الأميرات التركيات والأفغانيات وسيدات البلاط ينطلقن إلى القنص على متون الخيل، ويخرجن للقيام بالزيارات المختلفة، ولم ينشأ نظام "البوردا"، وهو حاجز يحجب النساء عن أعين الرجال . إلا في عصر المغول، عندما أصبح علامة على الشرف ورفعة المقام عند المسلمين والهندوس معاً[1]، وقد ذكر بعض المؤرخين الهندوس أنه بسبب غزوات الترك والأفغان بذلت جهود أكبر لحماية المرأة الهندية من الغزاة، وقد أدى ذلك إلى التقليل من حرية النساء، فقد تطلبت الوقاية أن يقل السماح لهن بالخروج من المنازل عن ذى قبل، ولذا قلت نسبة التعليم بينهن إلا بين الفتيات اللاتى يستطيع آبائهن أن يستأجروا مدرسين لهن في منازلهن. كما أدى ذلك إلى زيادة نسبة الزواج المبكر، وقد بدأت هذه العادة في الهند لإبقاء الشباب بمنجاة عن الأديرة البوذية، ثم زادت في فترات الحروب، لأن النساء المتزوجات مهما كان سنهن كن أكثر تخلصاً من الاعتداء عليهن[2]، وإن كان في هذا الرأى مبالغة كبيرة، ففترات الحروب لم تدم إلا قليلاً أعقبها فترات استقرار عندما يتمكن الغزاة المسلمون من السيطرة على المدن وفرض نظامهم بها، كما أن الفتح الإسلامى لم يكن يتم بصورة مفاجأة كما يصورها موداك بحيث يصبح الناس غير آمنين على أرواحهم وحرماتهم، فلم يتم استخدام العنف إلا مع المدن التى تبدى مقاومة عنيفة، وكان يسبق الغزو إنذار وتخيير الناس بين الإسلام أو الجزية أو القتال.

---

(1) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ص150.

(2) مانوراما موداك: الهند شعبها وأرضها، ترجمة العميد محمد عبد الفتاح إبراهيم، النهضة المصرية،1964، ص118.

ثانياً الحياة الاقتصادية:

أولاً الزراعة :

عندما فتح محمد بن القاسم السند، فرض الجزية والخراج على من صالحهم من أهل السند، كما فعل مع أهل "سدوسا"، الذين طلبوا الأمان والصلح، فأمنهم وفرض عليهم خراجاً واخذ منهم رهناً[1].

و ذكر أبى يوسف في كتابه "الخراج" أن أى أرض أخذت عنوة مثل السواد والشام وغيرهما فإن قسمها الإمام بين من غلب عليها فهى أرض عشر وأهلها رقيق، وإن لم يقسمها وردها للمسلمين عامة، كما فعل عمر بن الخطاب بأرض السواد في العراق، فعلى رقاب أهلها الجزية، وعلى الأرض الخراج، وليسوا برقيق، وهو قول أبى حنيفة. والمعدل الخراجى هو ذلك الذى وضعه عمر بن الخطاب لأراضى السواد بالعراق. وقد ذكر أبو يوسف في الأرض الموات من أرض العنوة إذا أحياها مسلم فهى له، وهى أرض خراج إن كانت تشرب من ماء خراج، فإن استنبط لها عيناً أو سقاها من المطر فهى أرض عشرية[2]، وقد طبقت السلطات الإسلامية في الهند فقه أبى حنيفة في الأموال ونظم ديوان الخراج، وفي فترة حكم العرب للسند كان المكلف بمراقبة الدخل والمنصرف يسمى "مستوفى ممالك"، بينما كان "المجمودار" يشرف على مستحقات الدولة[3].

يذكر المؤرخون الذين كتبوا عن سلطنة دهلى أن كل الأراضى المفتوحة عنوة ولم تقسم بين الجند المسلمين ولكن تركت في أيدى أصحابها غير المسلمين أو أعطيت لمستوطنين غير مسلمين من غير هذا المكان تكون أراضى خراجية، أما أرض السواد المحدثة فى الهند في سلطنة دهلى فى عهد قطب الدين أيبك اعتبرت أرض عشرية، وفي عهد من تبعه من السلاطين طبق المعدل الخراجى الذى كان سائداً فى العراق، والزيادة عنها ليست ممكنة، ذلك مع مراعاة اعتبارات هامة كطبيعة الأرض ووسائل الرى والبعد عن السوق[4].

---

(1) البلاذرى: فتوح البلدان، ص454.

(2) البلاذرى: المصدر نفسه، ص464،465. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: الخراج، ص25.

(3) رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام في فارس وأفغانستان والسند وباكستان وآسيا الوسطى والصغرى وبين المغول، مج1، ص163.

(4) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلى، ص148،149.

واستمرت طرق الجباية الخراجية قبل الفتح الإسلامى للهند كما هى، ولم يحدث لها تغيير يذكر فترة الحكم الغزنوى وما بعده[1]، ورغم تعنت الغزنويون فى بعض الأوقات فى فرض الخراج، وخاصة عند التجهيز للحروب، إلا إنهم في نفس الوقت كانوا يستجيبون لشكاوى الشعب ويحطوا الخراج عمن يصيبه ضرر، فعندما قدم أهل لمغان. مدينة فى السند. إلى غزنة شاكين إلى الوزير الرئيس أحمد بن الحسن الميمندى ما أصابهم من غارة الهنود المفاجأة عليهم وتخريبهم لبلدهم، فحط عنهم خراج هذه السنة، وقد رفع عنهم خراج السنة التى تليها عندما عاودوا شكواهم، وقد أطمعهم ذلك في طلب رفع الخراج فى السنة الثالثة، فوضح بذلك ادعائهم، ورفض الرئيس أحمد الميمندى طلبهم، وكتب على ظهر طلبهم عبارته الشهيرة: "الخَراج خُراج أداؤه دواؤه[2]".

وجد نظام الإقطاع في الهند الإسلامية، فكان كل وزراء الدولة والعاملين بها يتقاضون رواتبهم عن طريق التوكيلات، وهو منح محصول أرض معينة في مقابل الخدمات التى يؤدونها، وقد وجد هذا النظام في الهند قبل الفتح العزنوى لها، وقد أخذ الغزنويون هذا النظام عن السامانيين وتبعهم الغوريون، وحينما أسست سلطنة دهلى كانت أسهل طريقة لجعل الولايات الجديدة تحت إدارة مناسبة هى تقسيمها إلى اقطاعات.[3]واقترن الإقطاع في الهند بالمسلمين خاصة رغم مخالفة ذلك لروح الإسلام، فمن المعروف أن الغزو العسكرى يعمد دائماً إلى خلق مجتمع إقطاعى، ففي الهند أصبح هذا عنصراً ضرورياً في النظام الإسلامى لإدارة الملك، نظراً لعدم وجود وسائل المواصلات الحديثة، أصبحت السيطرة على دولة شاسعة الأطراف كالهند من مركز عام واحد مسألة مستحيلة، لهذا لم يكن هناك مفر من تعيين ممثلين للملك، وبمرور الوقت تحول هؤلاء الإداريون إلى نوع من الولاة أو الحكام، بدل أن

---

[1] Ishtiaq Husain Qureshi, The Administration of The Sultanate of Dehli, p.106.

[2] النظامى العروضى السمرقندى: جهار مقالة، نقله إلى العربية عبد الوهاب عزام ويحى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،1949، ص27،28.

[3] عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلى ، ص162.

يكونوا إداريين يخضعون لسلطة مركزية[1]، واحتفظ المسلمون -الذين كانوا أقل عدداً بدرجة متعذر قياسها- بأراضيهم عن طريق المواقع العسكرية المنتشرة فى ظل الإقطاعات الكبيرة المتناثرة بالبلد لحماية وخدمة الحكام وصد الراجبوت وحماية الحدود[2].

وبجانب الجزية والخراج وجدت ضرائب غير شرعية، ولم تكن هذه الضرائب باهظة، فقد كانت تفرض رسماً صغيراً على المواد المباعة في المدن، والتى يتحملها صغار البائعون وهؤلاء كانت دخولهم محدودة. وقد كان هذا حال الرعية الهندوس من الفلاحين وبصفة خاصة قبل الفتح الإسلامى، فقد كانت الرعية من الهندوس في وضع أفضل تحت الحكم الإسلامى، وكانت أحمالهم المالية أخف مما قبل الفتح، ويدل على ذلك الضرائب الكثيرة التى كانت مفروضة عليهم قبل ذلك، والتى من أهمها الخراج على الأرض، وسدس ثمار الأشجار، وسدس ربح قصب السكر والخمر والسمن والعطور والعقاقير والأزهار والخضار والعشب وغيرها، وضريبة الصناع والعمال والمنبوذين أن يسخرهم الملك يوم كل شهر لأعماله[3].

أما رؤساء الهندوس فتمتعوا بغنى فاحش ووضع شبه مستقل عن الحكام. فعند فتح دهلى كانت هذه الأسر الهندوسية تتمتع بنفوذ اقتصادى كبير، ولذلك كانوا أسلس فى قيادة مواطنيهم، ولذا تركوا فى وظائفهم بواسطة أوائل سلاطين دهلى، مقابل دفع جزية مختلطة كانت تسمى "الجوزارى" ومراسم الخدمة ووجوه المال، وهؤلاء كان في إمكانهم التمرد ومنع الجزية والخراج عن الحكومة الإسلامية وخاصة الأكثر بعداً عن العاصمة فتضطر الحكومة إلى إرسال قوة لتأديبهم[4].

---

(1) همايون كبير: المسلمون في الهند، ثقافة الهند، سبتمبر 1955، مج6، ع3، ص6.

(2) Powell Price, A History of India, Toronto and New York, First Published, 1955,p.151.

(3) منودهرما ساسترا: الفقه الهندوسى الأكبر، ثقافة الهند، ديسمبر 1952،مج3،ع3، ص98،99.

(4) Ishtiaq Husain Qureshi, The Administration of The Sultanate of Dehli, p.119.

ثانياً الصناعة :

عمل العرب في السند -فترة الحكم العربى لها- بالزراعة والتجارة كما كان من بينهم حرفيين وصناع مهرة في بعض الصناعات، وكان في البداية اعتمادهم على الهنود في كل شئ، ولكنهم ما لبثوا أن تعلموا من الهنود كيفية الزراعة والحرف المختلفة، وقد ساعد على ذلك انتشار الإسلام بين الطبقات الدنيا في المجتمع الهندى، فأصبح يوجد في المجتمع المسلم قصابون وسقائون وأطباء وخطاطون ونساخون للكتب وحائكون ومعماريون إلى آخره[1]، وأصبح المسلمون جزء لا يتجزأ من حياة البلاد الاقتصادية، وخاصة في المهن اليدوية والصناعات الصغرى[2]، وقد عثر الأثريون في أطلال مدينة "بهيرو" التى يظن أنها كانت مدينة المنصورة، على ما يدل على حذق الصناع المسلمون مما وجد بها من تحف عليها كتابات عربية بالخط الكوفى، وأهم هذه القطع أسطوانة سداسية عليها كتابات عربية بالخط الكوفى من كل جانب، ويبلغ حجمها ثلاث بوصات طولاً ومحيطها بوصتين وثلاثة أرباع البوصة، وهذه كانت على الأرجح تميمة تغلف بالحرير أو الجلد ثم تلبس حول الرقبة، وما عثر عليه من أوانى وأباريق مياه كلها تحمل الطراز الإسلامى لا الهندى، كما عثر بها على أطلال مساكن بنيت بالآجر، وهى صغيرة ورفيعة من الطراز الذى كان المسلمون يستعملوه، ولم يكن أهل السند يعرفوه قبل قدوم العرب، ونستدل من هذه الآثار التى تحمل كلها الطابع الإسلامى على قيام الصناع والحرفيين المسلمين بتحقيق الاكتفاء الذاتى لمدينتهم التى كان جل سكانها من المسلمين، فلم يعثر بها على أى صورة مما يجله الهندوس أو البوذيون الذين كانوا يشكلوا السواد الأعظم للإقليم [3]، وعامة لم يعثر على آثار متكاملة لما بناه العرب في السند، وقد استخدم الهنود أحجارها لبناء معابدهم وبيوتهم، والآثار الإسلامية الباقية يعود تاريخها إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادى[4].

---

[1] عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية فى الباكستان، ص187.

[2] بطرس روفائيل: المسلمون في الهند، ص16.

[3] ممتاز حسين: مدينة المنصورة منشؤها وموقعها، ثقافة الهند،إبريل 1965، مج16،ع2، ص102،103.

[4] S.A.A.Rizvi, Muslim India,p.302.

وساعد اختلاط المسلمين والهندوس في العمل والمسكن دون تفرقة دينية أو عنصرية على نشر الإسلام بينهم، فقد اشترك الهنود والمسلمون في تنمية الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية مما كان له أبلغ الأثر فى تحقيق عملية الامتزاج، وساعد على استيعاب الحضارة الإسلامية فى الهند[1].

وغالبية الداخلون في الإسلام كانوا يدخلون فيه جماعات لا أفراداً، وهكذا كانت حياة هذه الجماعات وأعمال أفرادها تستمر كالسابق، مع شئ من التغييرات البسيطة في موضوع العبادة. ولذلك وجدت مهن وصناعات يحتكرها المسلمون إلى اليوم في الهند، فطائفة الحائكين أغلبهم مسلمون، وكذلك كانت طائفتى الحذائين والجزارين أكثريتهما الساحقة من المسلمين[2].

وقد أحضر المسلمون الورق إلى الهند، ويعد ذلك مساهمة هامة جداً في تقدم العلم والمعرفة، وقد جاءت صناعة الورق للمسلمين من الصين إلى آسيا الوسطى، وكانت له صناعة هائلة في سمرقند ومن هناك أتى الورق إلى الهند، ومن هنا جاءت المخطوطات اليدوية، وفن تزيين الكتب، الذى لقى تشجيعاً كبيراً من المسلمين الذين رغبوا في زخرفة القرآن الكريم والمخطوطات الدينية الأخرى أو كتب الأدب القديم المزينة بحواشى ذهبية على كل صفحة وتجليد الكتب وزخرفتها بالذهب، وقد اقتبس الهندوس من المسلمين هذا الفن، ووجد كلا الفنانين المسلمين والهندوس لذة وربح في تزيين الكتب العربية والفارسية والسنسكريتية[3].

ثالثاً التجارة:

العلاقات التجارية بين العرب والهند قوية، فمنذ فجر التاريخ القديم كان اتصال الهند بغرب آسيا معتمداً على الخطوط التجارية البحرية والبرية، ونتج عن هذا الاتصال تسرب الحضارة الهندية إلى غرب آسيا[4]، فقبل ظهور الإسلام بقرون عديدة كان التجار العرب _

---

(1) التوم الطالب محمد يوسف: فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية، ص103.

(2) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ص160،161.

(3) مجهول: آثار الإسلام الثقافية في الهند، ثقافة الهند، ديسمبر 1956، مج7، ع4، ص12،13.

(4) تاراتشند: العلاقات الهندية العربية قوية منذ فجر التاريخ، ص9،10،13.

ولاسيما من الشواطئ الجنوبية لجزيرة العرب أو الخليج الفارسى_ يتاجرون مع الهند ويعملون كوكلاء للتجارة بين الهند والبلدان الغربية مثل مصر واليونان وغيرهما. وخاصة التجار العمانيون الذين وصلوا لسواحل الهند قبل الإسلام بقرون عديدة، وأصبح لهم أسطول تجارى كبير، ويدل على ذلك ما أشارت إليه إحدى اللوحات السومرية التى يرجع تاريخها إلى عهد الملك أرو دنتجى (1450 ق.م) عن وجود صناعة السفن في "ماجان" عمان، وعندما دخلت عمان في الإسلام حمل التجار العمانيون أمانة الدعوة إلى الإسلام، وخاصة مع دخول غالبيتهم فى المذهب الإباضى الذى يجعل أمر الدعوة إلى الإسلام واجب دينى على كل معتنقيه. وبذلك كان التجار العمانيون عنصر مؤثر في ازدهار التجارة العربية فى المحيط الهندى، فقد دعمت عمان أسطولها التجارى بأسطول حربى قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى للقضاء على قراصنة الهند الذين يتعرضون لسفن التجار، فتشير بعض المصادر إلى إنشاء إمام عمان غسان بن عبد الله اليحمدى (192هـ: 207هـ/807: 822م) أسطول بحرى مسلح لحماية الشواطئ العمانية وتجارتها من هجمات القراصنة الهنود[1]، وانتشر التجار العمانيون في سواحل الهند يدعون للإسلام، ومما يدل على دورهم الكبير في ذلك ما ذكره ابن بطوطة أن خطيب وقاضى مدينة فندرينا، على الساحل الغربى للهند كان من أهل عمان[2]، ومن أعلام العلماء التجار العمانيون الذين وردوا المنصورة الفضل بن جندب وأبى الحر على بن الحصين العنبرى وأبى عبيدة عبد الله بن القاسم، وقد رحل الأخير منها إلى الصين والباقين إلى مكة[3].

وكان للفتح الإسلامى للسند والحكم العربى لها دوراً كبيراً في تقوية العلاقات التجارية البرية الهندية العربية[4]، كما اهتم الحجاج بنشر الأمن على طول الطريق المؤدي إلى الهند، وقد

---

(1) رجب محمد عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، عمان، مكتبة العلوم، 1415هـ/1989، ص43: 69.

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص110.

(3) رجب محمد عبد الحليم: المرجع نفسه، ص71

(4) مقبول أحمد: العلاقات التجارية بين الهند والعرب من القرن العاشر قبل الميلاد إلى العصر الحديث، ثقافة الهند، يناير 1965، مج16، ع1، ص22،23.

كان السبب المباشر لفتح السند القضاء على قراصنة البحر من الميد التى تعتدى على سفن التجار[1]، وهيأت الدولة الأموية بذلك الأسباب لانتعاش طريق الخليج العربى مع الهند، وزادت أعداد السفن الفارسية والعربية إلى الهند والصين.

وازداد نشاط هذا الطريق في العصر العباسى مع اهتمام العباسيين بالسند، فقد اهتم أبو جعفر المنصور بالفتوحات في السند وتابع المهدى والمأمون سياسته، وقد صحب هذه الفتوحات نشاطاً بحرياً وتجارياً عظيماً بين الخليج العربى والسند[2]، وقد شجع الخلفاء العباسيون في العصر العباسى الأول التجارة مع الهند والصين تشجيعاً غير مباشر بما أدخلوه من مظاهر الترف إلى بلاطهم، كما شجعوا التجارة بطريق مباشر بتمهيد الطرق وبتأسيس بغداد التى ساعد موقعها على أن تكون سوقاً تجارياً من الطراز الأول، ويتضح من رحلات السندباد البحرى التى وردت فى كتاب ألف ليلة وليلة والتى ترجع إلى عهد الرشيد، أن العرب كانوا يقومون برحلات بحرية تبدأ من بغداد وتسير في الخليج الفارسى حتى تصل لجزر الملايو[3]، وقد اعتبر تأسيس بغداد حدث تاريخى، فلأول مرة ترتبط عاصمة الخلافة بطرق مائية مع بحر العرب بواسطة نهرى دجلة والفرات اللذان يصبان معاً فى الخليج العربى، وقد نشطت بذلك تجارة الخليج العربى مع الهند والسند[4]، وذلك بالإضافة إلى الطريق البرى الذى ازدهر في ذلك العصر، فتبدأ القوافل من مناطق الحكم العربى الواقعة عند مصب نهر السند، وكان هناك طريق تجارى يسير من تلك المنطقة نحو داخل فارس ماراً بسجستان، وإلى الشمال من هذا الطريق كانت قوافل البنجاب تنقل مقادير كبيرة من البضائع عبر هضاب أفغانستان، وتوصلها إلى كابل وغزنة وغيرها التى أصبحت من مراكز التجارة الهندية من قبل ظهور الدولة الغزنوية، ومنها تسير القوافل نحو خراسان غرباً وبخارى

---

(1) رمزية عبد الوهاب الخيرو: تجارة الخليج العربى وآثارها في الحياة الاقتصادية فى منطقة الخليج والعراق منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجرى، رسالة دكتوراة من كلية دار العلوم، 1979، ص66.

(2) سليمان إبراهيم العسكرى : التجارة والملاحة في الخليج العربى في العصر العباسى، رسالة ماجستير من كلية دار علوم،1971، ص74،189188.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج2 العصر العباسى الأول،ط13، بيروت، دار الجيل، 1991، ص255:257.

(4) رمزية عبد الوهاب الخيرو: المرجع نفسه ، ص150.

شمالاً، وتتلاقى في بخارى مع البضائع الآتية من الصين عبر آسيا الوسطى، و ينتهوا جميعاً في بغداد[1].

وكان لفتوحات السلطان محمود الغزنوى في الهند أكبر الأثر في رواج التجارة بين الشرق والغرب، ومما يدل على ذلك اكتشاف نقود إسلامية ترجع إلى ذلك العصر في شمال أوروبا[2]، وقد قام الحكام المسلمون بتشجيع التجار، فأمر السلطان قطب الدين أيبك منذ بداية سلطنته بتشجيع التجارة، فقد شكلت طبقة التجار أهمية كبيرة في سياسة السلاطين المالية[3].

ومن أهم عوامل ازدهار التجارة العربية في الهند تشجيع ملوك الهند للتجار المسلمين، ولذلك اختلفت النظرة للعرب المقيمين في جنوبى الهند عن العرب في السند، ومن أهم الحكام الهنود الذين رحبوا بالعرب "الراشتراكوتا" حكام الدكن اللذين أشار إليهم العرب باسم "بلهرا"، وقد أفرط الرحالة العرب فى مدحهم لمحافظتهم على أرواحهم وأموالهم، وسماحهم لهم بممارسة طقوسهم الدينية في حرية تامة، وكان لترحيبهم بالتجار العرب أسباب كثيرة، منها حروبهم المستمرة مع "الغورجارا_ براتيهارا" حكام الشمال الذين كانوا في عداء مع عرب السند أيضاً فقصد حكام الدكن تأييد عرب السند[4]، وكذلك لأنهم كانوا يكسبون الكثير من وراء هذه التجارة. فقد حاز ملوك كاليكوت وكارومندل على ثروات طائلة من هذه التجارة البحرية، فعندما مات أحد ملوك كارومندل احتاج عامله المسلم لنقل ما وصل إليه من الذهب والجواهر إلى سبعة آلاف من الثيران، وكان جل تجارة كارومندل مع السواحل العربية والعراق وفارس[5].

ويذكر المسعودى إكرام ملك البلهرا للمسلمين "وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في ملكه إلا البلهرا، فالإسلام في ملكه عزيز مصون، ولهم مساجد مبنية وجوامع عامرة بالصلوات للمسلمين"، كما أنهم يعتقدون أن طول أعمار ملوكهم يرجع إلى إكرامهم

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج2 ، ص260.

(2) حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه،ج4، ص384.

(3) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية فى عصر سلطنة دهلى، ص280.

(4) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص103،104.

(5) سليمان الندوى: العلاقات التجارية بين العرب والهند، ثقافة الهند، يوليو1950، ص131،132.

للمسلمين[1]، ويحدثنا ابن حوقل عن إكرام ملك البلهرا للمسلمين، وتقع مملكة البلهرا من كنباية إلى صيمور، وهى من بلاد الهند الملاصقة للسند قرب الديبل، والغالب عليها الهندوس وبها مسلمون، إلا أنه من قوة مركز التجار المسلمين وإعزاز ملك البلهرا لهم لا يلى عليهم إلا مسلم، وكذلك الحال في سائر ممالك الهند كالخزر والسرير واللان وغانة وكوغه وغيرها، ويتولى القضاء بينهم قاضياً مسلماً، وإن قل عددهم فى بعض الممالك يقبلوا القضاء من ذوى العفة من أهل الممالك، فإن جرحه الخصم وزكاه المسلم أمضيت شهادته، وتنتشر ببلاد البلهرا المساجد الجامعة[2]، ومن الملوك الهنود المكرمين للتجار المسلمين ملك الطافى، وهو موادع لمن حوله من الملوك، ومملكتهم لا بحر لها، عكس مملكة البلهرا التى لها بر وبحر[3]، ويؤكد ابن بطوطة عزة المسلمين بساحل المليبار عندما زارها، فإذا لقى هندوسى مسلم تنحى له عن الطريق حتى يمر، "والمسلمون أعز الناس بها غير أنهم لا يواكلونهم ولا يدخلونهم دورهم[4]".

أما عن الطرق البحرية مع الهند فقد ذكرها سليمان التاجر بالترتيب الآتى، تنقل البضاعة من البصرة وعمان إلى سيراف، ومنها إلى مسقط، ثم تولى وجهها إلى الهند حتى تصل بعد شهر إلى كولم ملى، ومنها تذهب للصين.ويصف أبو زيد السيرافى طريق العودة، فترحل السفن من الهند إلى عمان ومنها إلى عدن ومنها إلى جدة ثم إلى القلزم[5]، وقد اختلف مقدار التجارة عن طريق البحر الأحمر وفقاً لأحوال مصر، فعندما بدأت الدولة العباسية في الانحلال، وبدأ شأن مصر في الارتفاع بظهور الدول المستقلة بها حيث زادت العناية بطريق البحر الأحمر[6].

---

(1) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج1، ص82 .

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص220. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج3، ص440.

(3) المسعودى: المصدر نفسه ، ج1، ص40،82.

(4) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص108.

(5) سليمان الندوى: العلاقات التجارية بين العرب والهند،ص108،109.

(6) محمد يوسف: علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، مايو 1953، مج15،ج1، ص25.

وأهم موانئ السند التى استقبلت التجارة العربية، ميناء الديبل ويصفها الاصطخرى "هى غربى مهران على البحر، وهى متجر كبير وفرضة لهذه البلاد وغيرها... وهو بلد قشف وإنما مقامهم للتجارة[1]"، كما وصفها المقدسى " تجار كلامهم سندى وعربى وهى فرضة الكورة كثيرة الدخل[2]"، مما يدل على كثرة التجار العرب بها، وقد أدى ذلك إلى انتشار اللغة العربية والإسلام بها وظهر منها علماء مسلمون أجلاء، وترجع أهميته التجارية إلى أنه أول ميناء بشمال الهند تقابله الرحلات التجارية القادمة من الخليج العربى، وكذلك إلى سيطرته على مصب نهر السند وما يحمله عن طريقه من منتجات بلاد البنجاب وكشمير، وهو بذلك الميناء التجارى الرئيسى لمدينتى المنصورة والملتان الواقعتان على نهر السند[3]، وقد وصف المقدسى التجارة فى المنصورة والملتان بالازدهار وسعة العيش والأسعار الرخيصة[4]، وترجع أهمية الملتان كمركز للتجارة الداخلية لوجود صنم الملتان الكبير بها الذى يقصده الحجاج الهنود من جميع أنحاء الهند لتعظيمه[5].

وأهم الموانئ الهندية التى استقبلت التجار المسلمين، تيز في بلوخستان، والديبل في السند، ثم تهانه وكمباى وسوباره وصيمور فى كَجرات، وكولم ملى في مدراس وملیبار ورأس كمارى، وكانوا يتوجهون بعد ذلك إلى الجزائر الهندية وإلى البنغال ومنها إلى الصين[6]، وقد تعددت موانئ شبه الجزيرة الهندية وانتشرت على طول سواحلها لتميز الهند بامتداد شواطئها لمسافات طويلة، وللهند واجهتان على المحيط الهادى، الواجهة الغربية وتضم موانئ أهمها موانئ كمباى وكَجرات وموانئ ساحل المليبار، والواجهة الشرقية تضم موانئ ساحل كروماندل، وواجهته إلى الشرق الأقصى ولذا فهو مركز رئيسى للتجارة مع دول الشرق الأقصى، وقد قصدته سفن العرب وإن لم يكن بالكثرة التى عرفها الساحل الغربى للهند[7]،

---

(1) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص104.

(2) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص379.

(3) سليمان العسكرى: التجارة والملاحة في الخليج العربى فى العصر العباسى، ص189،190.

(4) المقدسى: المصدر نفسه ، ص379:381.

(5) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق في عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى، دار الفكر العربى، 1965، ص148.

(6) سليمان الندوى: المصدر نفسه، ص108.

(7) شوقى عبد الباقى:تجارة المحيط الهندى في عصر السيادة الإسلامية (41:904هـ/ 661:1498هـ)، ص191

ويصف ابن بطوطة ميناء كمباى بكثرة التجار حتى كان لهم رئيس بها يطلق عليه "ملك التجار"، وبها مسجد تنافس التجار فى عمارته، وعلى مدخل الخور الذى تقع عليه كمباى يوجد ميناء ديو، وهو ميناء زاخر بالبضائع الواردة من مختلف بلدان المحيط، واعتماد سكانها فى معاشهم على التجارة، ولذا عمد حاكمها على توزيع الهبات والهدايا على التجار لتشجيعهم على القدوم، وتعتبر موانئ كَجرات من أشهر الموانئ الهندية، وتقع شمال غرب الهند مواجهاً لخليج عمان والساحل العربى، ولذا توطدت علاقته التجارية مع العرب[1]، وقد زادت التجارة العربية في الهند مع بداية حكم دولة الجورجارا في الكَجرات والكاتيوار الذى أصبحت عاصمته نهلوارة "باتان" التى جذبت التجار العرب، وحولت الطريق الرئيسى إلى كامبايى وغيرها من موانئ الكَجرات، وقد ذكرها الإدريسى، ووصفها بالازدهار في عصره (ق6هـ/12م)، ويشير لترحيب حكامهم بالعرب، ويشير إلى حاكمها باسم البلهرا، وهو اللقب الذى كان العرب الأوائل يستخدموه لعائلة "راشتراكوتا" فى الدكن، وقد رحب هؤلاء الحكام بالتجار العرب، وقدموا لهم التسهيلات التجارية[2]، ومن الموانئ الهامة على الساحل الغربى والتى كانت على صلة تجارية مع شرق وغرب المحيط ميناء جوا في مملكة الدكن، وكان سكانه خليطاً من الهنود والعرب والفرس والصينيين، وتصله سفن جدة وعدن وهرمز وكمباى وغيرها، ولم يكن يسمح لأجنبى بالدخول من غير تفتيشه[3].

ويعد إقليم المليبار بالساحل الجنوبى الغربى للهند مفتاح الهند التجارى ومركز الإنتاج الرئيسى للتوابل بها، وهو ملتقى هام لتجار المحيط الهندى، ولذا انتشرت به الموانئ الكثيرة والتى من أهمها كاليكوت وكولم ملى ويليهم شول وكوشين وسورات وكنانور وغيرها.. وتعد كاليكوت من أهم وأشهر موانئ الهند حيث قصدها كل من تجار الصين وسرنديب واليمن وفارس والحبشة، وكان للتجار أمير يطلق عليه "شاه بندر"، وسكانها من جنسيات مختلفة وكثير منهم من المسلمين[4]، أما ميناء كولم ملى في جنوب المليبار فهو مقصد التجار العرب سواء للتزود منه بالمؤن خلال رحلتهم الطويلة للصين أو للتجارة مع أهل مليبار،

---

(1) شوقى عبد القوى عثمان: المرجع نفسه ، ص186،188.

(2) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص123،124.

(3) شوقى عبد الباقى: المرجع نفسه، ص188.

(4) شوقى عبد الباقى: تجارة المحيط الهندى في عصر السيادة الإسلامية، ص188،189.

التى اشتهرت بالفلفل الذى يعد السلعة الرئيسية للمليبار، كما أنهم أمدوا العرب بخشب الساج اللازم لصناعة السفن، وقد جنى سكان مليبار من هذه التجارة أرباح طائلة، وكان ملوكهم يحصلون على رسوم الموانئ عدا الهدايا الثمينة، ولذلك شجعوا التجار العرب وفتحوا لهم بلادهم على مصراعيها، فتوافد العرب وانشئوا لهم جاليات فى سواحل غرب الهند، ومعظمهم استوطنوا بومباى في منطقة كوكن، ونزح بعضهم للناحية الشرقية[1]، وقد كان نتيجة هذا الاستيطان التزاوج بين أهالى البلاد والتجار المسلمون، مما أدى إلى قيام مجتمعات مختلطة الأعراق مثل النافايات في غربى الهند، والموبلاه في المليبار، واللابايس في الشاطئ الشرقى، وظل عملهم الأساسى التجارة[2]، وقد كان ذلك من أهم عوامل انتشار الإسلام في هذه المناطق.

وكانت الموانئ الرئيسية للتجارة الهندية العربية في القرون الأربعة ما بين التاسع والثانى عشر الميلاديين هى الديبل وكمبايا وبروج وتهانه وسندابور وكويلون في الغرب، وفي الغرب الجنوبى بلين وكنجة التى تعرف الآن باسم كانجيورام، وسمندر في الساحل الشرقى، ومن الصعب تحديد بصفة قاطعة مدى اتساع رقعة التجارة الهندية العربية في داخل الهند، ولكن من المؤكد اتساعها فى المناطق الساحلية لجنوب شبه الجزيرة الهندية وفي السند والبنجاب، كما تدل الشواهد على وصول العرب إلى البنغال وآسام، ومن المؤكد وصول التجار المسلمون إلى كشمير في القرن الحادى عشر، ويذكر البيرونى في معرض حديثه عن جغرافية الهند في القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادي أن التجار المسلمين كانوا يتاجرون فى عهده فى مناطق راجورى في الشمال التى تتكون منها الحدود الشمالية للبلاد[3].

و تردد كثير من الهندوس على الموانئ الإسلامية، فقد أكثر بزرك بن شهريار في كتاب عجائب الهند في أوائل القرن الرابع الهجرى من تكرار كلمة "بانانية"، وقصد بها التجار الهندوس من ركاب السفن، تميزاً لهم عن كلمة "التجار" التى يقصد بها التجار العرب، وفي

---

(1) جورج فضلو حورانى: العرب والملاحة في المحيط الهندى، ص 212:210. محمد يوسف النجرامى: العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ص24،23.

(2) ك. ا. نيلا كانتا شاسترى: صلات الهند ببلاد الغرب فى العصور الوسطى، ص82 .

(3) مقبول أحمد: العلاقات التجارية بين الهند والعرب، ص34،33.

البلاد العربية يسمى التاجر الهندوسي إلى الآن "بانية" ويجمعونها على "بانانية"، وهم يتاجرون إلى يومنا هذا في العراق والبحرين وعمان وعدن والسودان والقاهرة[1]، ويشير ياقوت الحموى إلى ازدهار موانئ عمان بالتجارة الهندية، ومنها جزيرة كيش "وهى مرفأ مراكب الهند" ولملكها هيبة عند ملوك الهند لكثرة مراكبه[2].

كما وصل التجار الهنود إلى إندونيسيا منذ فجر التاريخ، وخاصة من الجنوب الغربى للهند، وأدخلوا ثقافتهم للإندونيسيين، ومع انتشار الإسلام حمل التجار المسلمون من العرب والفرس والهنود الإسلام إلى إندونيسيا وسواحل شرق آسيا. ومع أن د. محمد حسين ناينار حاول إثبات أن بداية الدعوة الإسلامية في شمال سومطرا بدأت منذ عهد الرسول (ﷺ) كما حدث فى جنوب الهند، معتمداً على مصادر عربية ويونانية، إلا أن شواهد قبور التجار المسلمين -الذين تزوجوا وأقاموا في البلاد- التى عثر عليها في المنطقة الساحلية من شمال سومطرا مؤرخة منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى، منتصف ونهاية القرن السابع الهجرى[3].

وكان للتجار المسلمين دور كبير في الدعوة للإسلام في الهند، فقد لفتوا نظر الأهالى بسلوكهم الحميد، فتأثر الناس بهم وبعقيدتهم مما أدى إلى تحول الكثيرين للإسلام، وبذلك انتشر الإسلام في السواحل الجنوبية للهند بواسطة التجار المسلمين قبل الفتوحات الإسلامية للسند في أواخر القرن الأول الهجرى[4]، كما أعان ترويج التجار بضائعهم بين الطبقات العليا ذات القدرة العالية للشراء على نشر الإسلام بينهم، وقد عمل التجار جهدهم لنشر الإسلام في كل مكان وطئته أقدامهم ابتغاء مرضاة الله[5]، ومن الأمثلة على ذلك إسلام

---

(1) مقبول أحمد: المرجع نفسه ، ص128.

(2) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج4، ص422.

(3) يوكا تجاندراساس ميتا: تجارة المسلمين البحرية وظهور الإسلام في أندونيسيا، ثقافة الهند، يوليو 1962، مج 13، ع3، ص65،66،67.

(4) سامية مصطفى مسعد: دور سلاطين غزنة فى نشر الإسلام فى الهند، ص144.

(5) رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام في فارس وأفغانستان والسند وباكستان وآسيا الوسطى والصغرى وبين المغول، ص159.

ملك العيسفان على يد جماعة من التجار المسلمين، والعيسفان بين قشمير والملتان وكابل، وقد ذكر البلاذرى أنهم كانوا يعبدون صنماً فى معبد -يرجح أنهم كانوا من بوذية السند- فلما مرض ابن ملك العيسفان دعا سدنة المعبد ليدعوا لابنه بالشفاء، فغابوا عنه ساعة ثم ذكروا له أنهم دعوا الصنم وقد أجاب لهم، ثم مات الولد، فهدم الملك المعبد وكسر الصنم، ودعا جماعة من تجار المسلمين الذين عرضوا عليه الإسلام فأسلم، وكان ذلك في وقت خلافة المعتصم بالله[1].

رابعاً نظام التعامل النقدى :

يتضح من الكشوفات الأثرية و الملاحم الهندية القديمة والكتب العلمية أن ضرب النقود كان شائعاً في الهند منذ عهود بالغة فى القدم، وقد استعملوا الفضة والنحاس بتوسع بالغ[2]، ويرجح الأستاذ كينيدى أن الهنود اقتبسوا نظام التعامل بالعملة الفضية والبورانز، مما كان متبعاً عند أهل بابل، وهى أقدم عملة عرفت في الهند، وقد استمر التعامل بها إلى وقت قريب[3]، ولا يعنى هذا أن النظام النقدى في الهند لم يعرف الدنانير، فقد انتشرت الدنانير في جنوب الهند منذ قدوم التجار الفرس والروم إليها، كما ضرب جندر كبتا في عهده ستون نوعاً من النقود الذهبية بمختلف الأشكال والمقاييس، مما يدل على مدى الرخاء في عهده[4].

وكانت العملة المستعملة في الدولة الإسلامية الدينار الذى كان شائعاً فى البلاد الغربية للدولة الإسلامية، والدراهم الفضية التى كانت شائعة في العراق وشرق العالم الإسلامى، إلا أن استعمال الدينار أصبح في القرن الرابع شائعاً فى العراق، ومع ذلك ظلت سائر البلاد الإسلامية الشرقية تتعامل بالدراهم، وكان الدينار يساوى أربعة عشر درهم في ذلك الوقت وربما قل أو زاد حسب كل بلد[5]، وكان لتدفق الذهب إلى العراق وانخفاض سعره من أهم عوامل ازدهار التجارة مع الهند، وخاصة مع اعتماد الهند على استعمال الذهب كنقود[6].

---

(1) البلاذرى: فتوح البلدان، ص462.

(2) محى الدين الألوائى: النقود التاريخية في عهد حكم المسلمين في الهند، ثقافة الهند، إبريل 1965، مج16،ع2، ص5.

(3) محمد يوسف: علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى، ص9،10.

(4) محى الدين الألوائى: النقود التاريخية في عهد حكم المسلمين في الهند، ص5.

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج3، ص338.

(6) رمزية عبد الوهاب الخيرو: تجارة الخليج العربى ، ص152.

وقد تم العثور على عدد كبير من العملات في مواقع مدينتى المنصورة والمحفوظة عليها كتابات عربية وتحمل أسماء الولاة والحكام العرب للمدينتين[1]، مما يدل على سك ولاة السند التابعين للخلافة ثم حكام الدول المستقلة في السند عملات عربية محلية.

وبجوار ذلك راجت عملات الممالك الهندية في الدويلات العربية الإسلامية فى السند، فيحدثنا الرحالة المسلمون عن هذه العملات، فيذكر الاصطخرى وابن حوقل أن نقود المنصورة هى "القندهاريات" كل درهم منها بخمسة دراهم، ولهم درهم يقال له "الطاطرى" وزن درهم وثمن، كما أنهم يتعاملون بالدنانير[2]، وقد تحدث المسعودى قبلهم عن الدراهم الطاطرية أنها كانت السائدة في مملكة البلهرا فى وقته، وقد كان وزنها في وقته وزن درهم ونصف، وهى تسك فى المملكة ببداية تاريخ كل ملك[3]، وقد تحدث المقدسى عن النظام النقدى في السند عندما زارها فى أواخر القرن الرابع الهجرى "وتسمى دراهم السند القاهريَّات[4] لكل واحد خمسة دراهم ولهم الطاطرا فى الواحد درهمان إلا ثلثاً، ودراهم الملتان عمل دراهم الفاطميين، وينفق فيها القنهرى الذى بغزنين يشبه القروض باليمن إلا أن القروية عندهم أجل[5]"، وزيادة وزن الدرهم الطاطرى يدل على انتعاش التجارة وقوة الاقتصاد فى ذلك الوقت، وسيادة الدراهم على الرسم الفاطمى في الملتان تأكد سيطرة الشيعة عليها وتبعيتها للحكم الفاطمى، كما أن ظهور عملة الدولة الغزنوية في السند يدل على انتعاش غزنة كمركز هام لتجارة الهند، كما يدل على ظهور النفوذ الغزنوى في السند.

وقد تطورت النقوش على العملات الإسلامية في الهند، من صور ملحقة بكتابات، ثم كتابات عربية قُرنت مع واحد أو آخر من الطرز الهندية، وقد وجدت عملات كنموذج أخير لهذا الطراز المختلط ترجع لعصر بلبن فى دولة المماليك في الهند، وأخيراً الطراز الإسلامى الخالص[6].

---

(1) ممتاز حسين: مدينة المنصورة منشؤها وموقعها، ص102، 111.

(2) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص103. ابن حوقل: صورة الأرض، ص221.

(3) المسعودى: مروج الذهب، ج1، ص82 .

(4) يقصد بها القندهاريات.

(5) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص382.

(6) Nilakanata Sastri, Advanced History of India, p.378.

وفي فترة الحكم الإسلامى للهند انتشرت بها نقود ضربت على الأشكال المعروفة في بلاد الشرق الأوسط، ثم بدأت الهند نفسها تضرب نقودها على هذا الطراز، وتقدمت الهند تقدماً ملحوظاً فى هذا الميدان في عصر سلاطين دلهى، وفي فترة الحكم الغزنوى للهند وزع السلطان محمود الغزنوى حوالى أربعة عشر نوعاً من النقود الرسمية، وكتبت فى ناحية منها ألفاظ تحمل شعار التوحيد بالله [1]، وقد نشأت دار لسك النقود في لاهور قبل قيام سلطنة دهلى، وبعد قيامها أصبحت دهلى هى الدار الرئيسية لضرب النقود في الهند الإسلامية، وحملت النقود اسم الخليفة العباسى عليها للدلالة على التبعية الاسمية والمذهبية للخلافة العباسية[2]، وقد سك محمد بن بختيار خلجى العملة باسمه بعد فتحه لمملكة لكهنوتى بالبنغال، وبناؤه دار ملكه بمدينة "كور[3]".

ومن أهم العملات التى تم العثور عليها في الهند فترة الفتح الغورى لها والتى تثبت حدثاً تاريخياً عظيم الأهمية وهو فتح البنغال الذى تم على يد بختيار خلجى، وبمناسبة هذا الفتح تم سك عدة عملات تثبت نقوشها فتح البنغال في عهد السلطان محمد بن سام، وعليها تاريخ الفتح 19 رمضان سنة 601هـ[4]، وقد أيد هذا التاريخ حسن النظامى الذى كان في خدمة قطب الدين أيبك وكتب تاريخ مخدومه في كتابه "تاج المآثر"، وهو بذلك مصدراً معاصراً للأحداث، وإن لم يذكره بدقة، ولكن هذه العملات تعطينا التاريخ الدقيق المؤكد لهذا الحدث التاريخى الهام، والذى لم يكن مؤكداً من قبل، وقد نشرت العملة الأولى في كتالوج لويس ويلسن ريت في دلهى، والعملة الثانية في المتحف البريطانى، والثالثة وجدت في معهد سميث قسم النميات بواشنطن[5].

وجرت العادة في هذه الفترة على أن ينسخ الحكام نقوش الحكام السابقين، وفي مرحلة متأخرة أصدروا عملات خاصة بهم، فنقوش عملات ملوك الهندوشاه في كابل كانت على

---

(1) محى الدين الألوائى: النقود التاريخية فى عهد حكم المسلمين في الهند، ص7.

(2) محمد حبيب أحمد: بين الهند وباكستان، القاهرة، مطبعة الفكرة، 1950، ص51.

(3) نظام الدين أحمد: طبقات أكبرى، ج1، ص60.

(4) أنظر الملاحق شكل 7، 8.

(5) Sanjay Garg, Coins and History of Medieval India,Delhi, 1997,Pp.13:22.

أحد وجهيها شكل ثوراً، وعلى الوجه الآخر صورة فارس، وقد أتبع نموذج شاهات كابل السلاطين الغزنويون وسلاطين آخرين الذين نقشوا على أحد وجهى عملتهم ألقابهم كسلاطين غزنة، وعلى الوجه الآخر ألقابهم كشاهات كابل، وكل من اتبع هذا النموذج احتفظوا بألقاب شاهات كابل "سرى. سامنتا ديفا"، وفي الهند أخذ هذا الطراز بعض راجات الهند شوهانز وتومارس، وقد أتبعت بعض عملات محمد الغورى هذا النموذج، فأحد عملاته تحمل على أحد وجهيها صورة ثور جالس مع اسم محمد غورى، بينما الوجه الآخر يحمل صورة فارس مع اسم سرى -بريزفى راجا ديفا، وهناك عملات لمحمد غورى من نفس الطراز تحمل لقب سرى- هامير (أمير)، وهو من ألقاب السلاطين الأتراك، هذا يبين بوضوح أن محمد غورى أصدر عملاته متبعاً طراز العملة التقليدية[1].

وبجوار التعاملات النقدية ظل نظام المقايضة، ففى ميناء كمباى كانت تصدر البهارات والنيلة فيقايضها التجار بالذهب والفضة والنحاس، فقد لعب الذهب دوراً هاماً فى ميدان التبادل التجارى بين الهند والبلاد العربية، مع حاجة الهند للذهب واستغلال المناجم المعروفة في الشرق الأوسط [2]، نستنتج من ذلك أن طريقة مقايضة الذهب والفضة والنحاس مقابل السلع الهندية كانت معمولاً بها، وكانت السبب فيما جمعته الهند من كنوز الذهب والفضة وغيرها. ويذكر فريد الدهر شمس الأصفهانى نقلاً عن قطب الدين الشيرازى نظرية إسلامية تثبت صحة ذلك، فقال" أنت تعلم ما يتلف من الذهب في الأبنية والمستعملات، ومعادن الذهب لا يتحصل منها نظير ما ينفذ، وأما الهند فإنى قررت أن ثلاثة آلاف سنة لم يخرج الذهب من البلاد، ولا دخل إليه ذهب فخرج منه، والتجارة من الآفاق تقصد الهند بالذهب العين ويتعرض عنه بأعواد وحشائش وصموغ لا غير، فلولا أن الذهب يعمل لعدم بالجملة الكافية" وقوله عما يدخل إلى الهند من الذهب ثم لا يخرج منه فصحيح، خاصة بعد أن استقر الفاتحون المسلمون بالهند بعد قيام سلطنة دهلى، فلم تعد ثرواتها تتسرب للخارج، ذلك التسرب الذى ينتهى دائماً بهزات اقتصادية للبلاد المفتوحة[3].

---

[1] Sanjay Garg, OP.Cit.,Pp.39:41.

[2] مقبول أحمد: العلاقات التجارية بين الهند والعرب، ص38.

[3] عادل رستم، مظاهر الحضارة الإسلامية فى عصر سلطنة دهلى، ص348، 349.

obeikan.com